شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية العدد (٢٦) ١٥/١٢/٢٠٠٤

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثارِ

- الفقيه: إماماً أم محرّضاً؟!
- من فتاوى التشدّد والتكفير الوهابي
- وثائق إنتفاضات العمال والقبائل
- الوهابيون واحتلال الحجاز
- الحوار الوطني: وحدها الدولة حاضرة

عمليات التنظيم الجهادي: المفعول الإعلامي والمقتل السياسي



صدامات جدّة.. سقوط الخيار الأمني



محمد بن عبد الوهاب: داعية وليس نبيّاً

الجذور الفكرية والعقدية لمنهج التكفير في السعودية

في هذا العدد

دولة العُصب

كون الدولة السعودية مدموغة بإسم عائلة مالكة تمارس سلطانها على أساس دعوى الحق التاريخي لا يعني أن القسمة داخل العائلة المالكة منضبطة على قاعدة التساوي بين أفرادها، رغم بطلان هذه القاعدة من أصل، إذ الدولة ـ أية دولة ـ هي حق عام وملك مشاع بين عموم أفراد الدولة نفسها.. ولكن ولضرورة الدخول الى نقطة جد حساسة في موضوع الشراكة وتقاسم السلطة داخل العائلة المالكة في السعودية، فإن الدولة ليست بالضرورة موزعة توزيعاً متكافئاً بين أفراد هذه العائلة، فقد جرى تهميش بعض الاجنحة التي لم تنل من كعكعة الدولة سوى أطرافها أي أن مصالحها في الدولة مقتصرة على العطايا والهبات أو المخصصات الشهرية التي تمنح عادة لأفراد عائلة آل سعود. ولذلك ظهرت بعض الاجنحة التي أعلنت عن تذمرها من استئثار أجنحة أخرى أو ربما أشخاص محددين وضعوا أيديهم على ثروات البلاد وخيراتها، بمعنى أن الغنم العام لم يتحصص بدرجة كافية بين أفراد العائلة المالكة. وقد بات واضحاً أن من يحكم يملك وأن من لا نصيب له في الحكم لا نصيب له في الملك أيضاً، ولذلك فإن من جرى استبعاده من السلطة نال قدراً ضئيلاً من الثروة، بناءً على قاعدة (من ملك استأثر)، مع أن لكل قاعدة استثناء، فالوليد بن طلال والذي لا يحكم يدير ملكاً جبّاراً ولكن ليس وحده بل هو يعمل بالنيابة عن أهل الحكم في العائلة المالكة.

تقليدياً كانت الدولة منذ أكثر من عقدين موزعة بين جناحين: الجناح السديري وجناح ولي العهد الامير عبد الله، فهما يتقاسمان الحكم والملك معاً، فلكل منهما امبراطوريته السياسية والاقتصادية الخاصة به، وقد تواطأ الجناحان على القبول بهذه القسمة الظالمة. ولعل أول من أسس لهذه القسمة هو الملك فهد رأس الجناح السديري، والذي شكّل اول عصبة داخل العائلة المالكة حيث أحاط نفسه بأشقاء وأبناء أمدّهم بالقوة السياسية والاقتصادية. ومن حسن المصادفات أو سوئها ـ لا فرق ـ أن يكون ولي العهد منافساً لهذا الجناح بفعل التسلسل الوراثي، وقيادته لجهاز عسكري منافس للجيش، أي الحرس الوطني، الى جانب صلاته الوثيقة بزعماء القبائل الكبيرة.

ولكن منذ منتصف التسعينيات، وبالتحديد منذ أن أقعد المرض الملك الحالي عن القيام بمهام الملك، انتقلت السلطة من الناحية العملية الى من هم دونه من حيث القوة والمكنة. ولاشك أن العصبة السديرية التي كانت تعتصم بالرأس المدبّر لها، بدأت تتحلل تدريجياً ولكن ليس الى الضعف وإنما في التحوّل الى أنوية أخرى تستمد من قوتها المكتسبة في مرحلة لاحقة كيما تصبح كل واحدة منها الى عصبة مستقلة، مع أن بعض هذه الانوية خرجت بفعل انشطار العصبة الكبيرة من دائرة التنافس الداخلي.

وفي حقيقة الأمر، أن ترتيبات السلطة بعد مرض الملك الحالي أفضت الى صعود وهبوط في درجات الملك والحكم أيضاً، بل حتى التسلسل السلطوي تفكك تبعاً لذلك، إذ لم يعد أفراد العصبة السديرية كلهم في الملك والحكم سواء أيضاً، فقد صعد الى واجهة المنافسة السياسية والاقتصادية ثلاثة أمراء وهم الامير سلطان والامير نايف والامير سلمان فيما خرج الاعضاء الباقون منهم: تركي وأحمد وعبد الرحمن (وإن كان الاخيران لا يزالان يحتفظان بمنصب نائب وزير الداخلية ونائب وزير الدفاع)، من دائرة التكافؤ والتماثل في معادلة السلطة.

لقد تحوّلت الدولة من الناحية العملية الى عُصب تدير السلطة والثروة في البلاد، وتحول الامير سلطان والامير نايف والأمير سلمان على الاقل من الجناح السديري الى عصب مستقلة، عزّزت قوتها بطريقة التوارث الضيق، أي في سلالة رئيس العصبة نفسها، فالأمير سلطان يدير امبراطوريته المالية والسياسية عبر تمكين أبنائه المقرّبين في وزارة الدفاع، وله حاشية لصيقة به تطوف أرجاء البلاد بحثاً عن غنائم يجنيها من المال العام والخاص، ولوزير الداخلية امبراطورية اخرى يديرها أبناؤه ويتصرفون كما لو كانت الدولة ملكاً له ولأبنائه، فالأمر أمرهم دون سواهم، الى جانب أبناء الملك الذين تنوء امبراطورياتهم بالمال والعقار الحرام. وينطبق الأمر على سلمان الذي يدير امبراطورية إعلامية يتوارثها أبناؤه إذا هلك أحدهم قام مكانه الآخر.

انتقال السلطة بعد الملك فهد سيكون عسيراً في ظل وجود عُصب ملكية تخنق الدولة

لم يعد تشكّل العصب وطغيان حضورها سراً خافياً، فقد بات المقرّبون يدركون كيف تدار اللعبة بين العصب المتنافسة، فما يصطلحه العامة خير دليل على وجود هذه العصب.. يتحدث العامة عن نشاطات جماعة سلطان وجماعة نايف وجماعة فلان وفلان من الأمراء، وهذه الجماعات لا يرد ذكرها الا بسوء، أي حين يجري الحديث عن قصص السرقات والرشاوى وانتزاع الأملاك والفساد بأشكاله المختلفة، ولم نسمع أحداً يتحدث عن جماعة تابعة لأمير تعيد الحق لأهله وترد الاملاك المنزوعة ظلما الى أصحابها أو تساند دعوى الشفافية وتحارب الفساد الاداري، بل تظافرت جهودها على السباق نحو وضع اليد على ما هو ملك للغير، وما فيه تأكيد للسلطة والاثراء الفاحش.

وفي ضوء ما سبق، فاننا سندخل عما قريب الى مرحلة انتقال غير سلمي للسلطة ولربما ستشهد السنوات القادمة صراعاً علنياً بين من مكّنوا أنفسهم في جهاز الدولة الاداري وفي مصادر الثروة الوطنية وهذا ما يجعل الاصلاح الشامل عسيراً، ليس على القوى الاصلاحية فحسب، بل حتى على المصلحين في داخل العائلة المالكة إن وجدوا، لأن التعامل سيجري ليس مع تكتلات يراد تفكيكها، بل مع عوائل داخل العائلة الكبيرة تملك سلطة صناعة القرار دون المرور عبر مؤسسة تشريعية او تنفيذية محددة.

اللقاء الفكري الأخير

حضرت الدولة وغاب الشباب

اللقاء الفكري الذي انعقد في الظهران بالمنطقة الشرقية في الفترة ما بين السابع والتاسع من ديسمبر ٢٠٠٤، تحت عنوان (الشباب الواقع والتطلعات) كان من حيث المبدأ لقاءً مصيرياً بحق، كونه يتعامل مع قضية أغلبية السكان في هذا البلد والتي تمثل ٦٠ بالمئة من سكانه. ولا شك أن الشباب قضية جوهرية ليس من منظور اقتصادي فحسب، باعتبارهم الاكثر تضرراً من الأوضاع الاقتصادية المتردّية، وإنما منظورات اجتماعية وثقافية ونفسية ايضاً.

وكنا نأمل ان يكتسب اللقاء أهمية خاصة لدى صانعي القرار، كونه القناة الافتراضية للحوار المفتوح بين الحكومة وشريحة الشباب، حيث لأول مرة سيدلي الشباب بهمومهم في الهواء الطلق والتي لم يكونوا قادرين فيما مضى على التعبير عنها بصورة رسمية.. وأكثر من ذلك، فإن قائمة مشاكل الشباب هي غير كونها مشروعة فإنها تمثل القائمة الأكثر إلحاحاً من مطالب السكان، فهم سيمثلون عما قريب العمود الفقري لنظام العمل والادارة في هذا البلد، فضلاً عن كون إغفال قائمة الهموم لدى الشباب سيحيل منهم الى قوة انفجارية خطيرة ضد المجتمع والدولة معا.

لقد صنعت الدولة لنفسها فرصة حل حاسم عن طريق اللقاء الفكري (مع التحفظ الشديد على استعمال مصطلح لقاء فكري)، وكان بإمكانها استغلال هذه القناة للتأسيس لقاعدة صلبة في العلاقة مع مشكلات الشباب، وفي بناء علاقة متينة، فهذه الشريحة قد انفصلت من الناحية العملية عن المجال الحيوي للدولة بفعل احساس الشباب بالخسارة في ظلها سيما وأنها لم تقدّم لهم حلولاً لمشكلاتهم، ولأن هذا الانفصال يعني انقطاع الصلة المعنوية مع الدولة، إذ لا يمكن لهؤلاء المحرومين من خيرات بلادهم أن يؤثروا طاعة الحاكم والولاء له على حاجاتهم البيولوجية واليومية، خصوصاً وأن الحرمان هو ثمرة الطغيان المالي والسياسي للطبقة الحاكمة.

غير أن ما يظهر من هذا اللقاء أنه تحوّل الى مجرد مهرجان خطابي، بمضمون شبه معدوم، ولعل رواج عبارة (كلام في كلام) توصيفاً لهذا اللقاء كان أقرب الى حقيقة الموقف الشعبي من هذا اللقاء.. فلم يسفر اللقاء عن قرارات عملية، رغم توصيات اللقاء التي تأخذ طريقها الفوري الى الارشيف إن وجدت مكاناً فيه والا لفّها النسيان.

وهذا يستدرجنا الى اختبار صدقية ليس هذا اللقاء فحسب، بل وكافة اللقاءات الفكرية السابقة، والتي لم تتجاوز حتى الآن بعدها الدعائي المحض، وهذا ما نلحظه جلياً من استعمال اللقاء الفكري كمصطلح بديل عن الحوار الوطني تبعاً لتبدّل الغاية منه او ربما تثبيتاً للهدف الاصلي منه. لقد خرجت اللقاءات السابقة بقائمة توصيات ولكن طويت سريعاً، ولم يعد أحد يتذكر منها سوى خبراً باهتاً.. فقد تحوّل مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني الى مجرد مؤسسة مقطوعة الصلة ومعزولة عن الشأن المحلي تماماً، وأصبح مجرد مركز للتداول الخطابي الدعائي الذي لم يتجاوز حد احتضان الفئات السياسية والاجتماعية والفكرية داخل عباءة الدولة.

يجمع المراقبون للقاء الفكري الخاص بالشباب على أن هذا اللقاء كان بمثابة قراءة بيان نعي على مشروع الحوار الوطني، إذ لم يكن

كافة لقاءات الحوار الوطني لم تتجاوز بعدها الدعائي المحض، ولم تثمّر في مشاريع عمل

بالثقل النوعي الذي تميّز به اللقاءان الأوّليان، لا لكون هذا اللقاء مخصصاً للشباب وبالتالي فإن المطلوب منه هو حضور أكبر عدد من المشاركين من هذه الشريحة، ولكن لكون هذا اللقاء لم ينل إهتماماً من قبل الفعاليات الوطنية، الذين قرروا بعد اللقاء الثاني أن ينسحبوا تدريجياً بعد أن شعروا بأن مشاركتهم قد أفادت الحكومة وأضرّتهم، فقد تحوّلوا الى جزء من رسالة الدولة الى الخارج، فقد جلبت الى فضائها خصومها السابقين من الرموز الدينية والوطنية والفكرية.. صحيح أن هذه الرموز لم تكن بالسذاجة التي تدفع بهم للوقوع ضحية للعبة سياسية مكشوفة، ولكن إن ما تطلّع اليه بعضهم من الدخول الى الكاريزما السياسية عبر بوابة الدولة وجدوا أنفسهم أمام طريق مسدود، فالطبقة السياسية الحاكمة إنما طمعت في اللقاء الفكري كي يكون وسيلة لاعادة ترميم سمعة العائلة المالكة، وتأكيد مشروعيتها من خلال حضور كافة الاقطاب في مشروعها السياسي، ولكن في الوقت نفسه أوصدت كافة الابواب أمام الافادة من هذه اللقاءات من أجل تأكيد الزعامات الدينية والوطنية لذاتها شعبياً، فهو أمر مرفوض بالنسبة للأمراء..

ولذلك، فإن قائمة التوصيات التي تقدّم بها المشاركون في اللقاء الفكري الثاني في مكة المكرمة، وهي القائمة الأكثر قرباً من مطالب التيار الوطني العام في البلاد، تم التعامل معها باعتبارها خارج صلاحيات وخصوصيات الحوار الوطني، لما في القائمة من أبعاد سياسية غير مقررة.. وعلى أية حال، فلربما جاءت التوصيات كيما تضع الطرفين أي المشاركين في اللقاء الفكري والحكومة أمام اختبار جدّي للعلاقة.

وبصورة إجمالية، فإن تراجعاً حاداً في الاقبال على اللقاءات الفكرية، كما انحسرت القناعة بجدوى المشاركة في اية لقاءات أخرى لا تهدف سوى الى تأكيد حضانة الدولة ومرجعيتها، في مقابل الدعوة الوطنية السابقة لعقد حوار وطني بين المجتمع والدولة ترتفع عنه سيطرة العائلة المالكة، ويستهدف بدرجة أساسية مناقشة الموضوعات ذات الطبيعة الوطنية، والتي وردت في مذكرة (رؤية لحاضر الوطن ومستقبله)، وما بعدها من عرائض.

ربما نجحت الحكومة أول مرة في اجتذاب كافة الاطراف الى الحوار الوطني، ويجب الاقرار بأن هذه الاطراف جاءت باندفاع الى اللقائين الاول والثاني، على أمل أن تجترح الدولة طريقاً آخر في التعاطي مع مشكلاتها، وعلى أمل ان يؤسس الحوار الوطني لمرحلة جديدة من الحريات والانفتاح والشفافية، الا أن هذا النجاح النسبي مالبث ان تحول الى خسارة بعد أن خبى وهج اللقاءات الفكرية وبخاصة اللقاء الأخير الذي كان ضحلاً، هامشياً، متهافتاً، وبالتالي أصبح في حقيقته مجرد (كلام في كلام).

وإذا كان ثمة ما يخرج به المرء من انطباع عن اللقاء الاخير حول الشباب، فيمكن القول بأنه قد يلبي تطلع الدولة وطموحها ولكنه بالتأكيد لا يضيف جديداً لقضية الشباب التي هي بحاجة ليس الى مهرجان خطابي بقدر ما هي بحاجة الى قرارات مصيرية او على الأقل بداية صحيحة نحوها.

عمليات التنظيم الجهادي في السعودية

بين المفعول الاعلامي والمقتل السياسي



ربما كان اقتحام القنصلية الاميركية في جدة والتي أطلق عليها التنظيم الجهادي في الجزيرة العربية التابع لتنظيم القاعدة عملية الفلوجة مراهنة أخيرة على استعادة الوهج الذي خمد لفترات طويلة، بعد سلسلة ضربات قاصمة تعرض لها التنظيم بعد عمليات عسكرية نوعية.. وربما كان اختيار القنصلية الاميركية كموقع استراتيجي وفي بعده الاعلامي المتميز محاولة يائسة من أجل استعراض القوة واثبات الذات بعد انشطارات واسعة في أنوية التنظيم وتخلخل واضح في العمود الفقري للجماعات المسلّحة..



إن ما يثير الانتباه هذه المرة، أن صورة العمليات المسلّحة التي تقوم بها الجماعة الجهادية داخل السعودية بدأت تتكشف بجلاء بأنها تنزع نحو تسجيل حضوراعلامي فحسب وليس تحقيق أغراض سياسية محددة. إذ ليس اختيار القنصلية الاميركية بجدة وبالطريقة البهلوانية التي قامت بها الجماعة المسلّحة عن طريق اختراق كافة الحواجز الأمنية خارج وداخل السفارة سوى تعبير عن استعداد للقيام بعمل استعراضي يحقق الضجيج الاعلامي المنشود.

فهذا العمل يأتي بعد صمت طويل نسبياً وبعد ملاحقة مفتوحة لفلول الجماعة الجهادية في مناطق عديدة من المملكة، وهو ما أرادت الجماعة أن تعيد بناء مخيالها الاعلامي عبر عمل نوعي، قد لا يعكس بالضرورة قوة في الجماعة ولكن ينبىء عن حاجتها الشديدة لتأكيد الحضور، والحضور المدوّي أيضاً.

وبدون شك، إن نتائج عملية جدة كانت من الناحية العسكرية المباشرة جاءت لصالح الجماعة المسلّحة خصوصاً وأن أفرادها نجحوا في اختراق الحاجز الأمني وتسجيل نقطة ضد البنية الأمنية المحلية، بل كشفت العملية عن هشاشة التدابير الامنية المحيطة بالسفارة وربما هذا ما دفع الى استبدال جهاز الحراسة السعودي بقوات من المارينز الاميركي التي وجّهت رسالة ضمنية شديدة الوقع والقسوة الى الاجهزة الامنية السعودية. مع التذكير بأن مشاركة عضو سابق في هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيل بأن بعضهم عملوا في أجهزة الأمن يجعل العملية ذات مغزى خاص بالنسبة للأميركيين الذين باتوا شديدي الحذر في التعامل مع أجهزة الامن السعودية، حيث أصبح ينظر اليها باعتبارها مخترقة من قبل التنظيم الجهادي.

وعلى أية حال، ومهما كانت نتيجة العملية من الناحية العسكرية فإن الجماعة المسلّحة وجّهت ضربة قاسية للنظام الأمني السعودي، رغم أن هدف العملية لم يتجاوز شكله الاعلامي، ومع ذلك فقد فتحت العملية ثقباً جديداً في جدار الامن.

من ناحية أخرى، إن هذه العملية تؤكد مرة أخرى بأن الجماعة المسلّحة تمتلك أجندة عسكرية غير منظّمة وغير موجّهة سياسياً. وبالرغم من أن هذه العملية قد تبدو الوحيدة منذ فترة بعيدة التي تشكّل فعلاً مستقلاً أي انها لم تكن قائمة على أساس رد فعل، وان جاءت في سياق مطاردات متوالية وملاحقات في الخفاء، الا أن هذه العملية لم تكن مصمّمة لتحقيق غرض سياسي محدد. فهذه الجماعة باتت منغمسة في اعمال عسكرية مبعثرة، قد تبدو لأول وهلة ذات منزع ايديولوجي باعتبارها تأتي تحت عنوان (تطهير الجزيرة العربية من المشركين) الا أن حقيقة الأمر تبدو غير ذلك تماماً، فإن ما تعكسه هذه العملية لا يلبي هدفاً من هذا القبيل.

إن عقد الارتباط الوثيق بين العمل الجهادي داخل السعودية ونظيره في العراق يأتي في إطار الرغبة نحو الاستقواء المعنوي بعد أن خسرت الجماعة المسلّحة جزءاً من رصيدها المعنوي وانشطار الانوية التنظيمية، ولكن الرسالة السياسية للداخل باتت مبهمة بل وأحياناً معقوته.. وفي الواقع ان المفعول الاعلامي القوي قد ينتهي الى مقتل سياسي أحياناً، فليس كل عمل عسكري تقوم به الجماعة يستهدف غاية سياسية محددة بقدر ما ينجز نصراً إعلامياً.

ربما كانت لعمليات الجماعة المسلّحة خطوط سياسية عريضة تدفع بها لتوجيه عملياتها وتقديم شروحات ايديولوجية عليها قبل وبعد انجاز أي عملية عسكرية، خصوصاً بعد أن كانت الحكومة تقوم بحملة اعلامية مضادة من أجل إجهاض نشوة الانتصار لدى الجماعة، وهذا ما دفع بالجماعة الجهادية لتبرير عملياتها وتقديم ردود على حملات الحكومة، الا أن هذه العملية وعمليات صغيرة متفرقة في انحاء المملكة تم تنفيذها خلال الشهور السالفة، أفقرت الجماعة سياسياً، خصوصاً مع استسلام بعض اعضائها وايضاً دخول عدد من الناشطين السلفيين على الخط مع الحكومة وتشويهاً لصورة الجماعات الجهادية.

وبلا شك، فإن اندحار بعض الجماعات المسلّحة في العراق قد ترك تأثيرات واضحة على حركة الجماعات المسلّحة في السعودية. إن تصريح الزرقاوي اليائس بأن علماء الدين خذلوا المقاومة وآثروا حب الدنيا على دعم المجاهدين لا شك يلقى صدى لدى الجماعة الجهادية في السعودية أيضاً، فقد عبّروا عن مرارة الخذلان الذي لقوه من علماء الدين في الداخل، بعد أن كانوا يتطلعون الى وقوف بعضهم على الأقل ممن كان يلهب وسائل الاعلام الشعبي بخطابات جهادية مناهضة للمشركين، وينادي بصورة غير مباشرة الى مقاومة اهل الشرك والضلال ويبث الفتاوى الداعية الى إعلان البراءة بكافة الوسائل من ملة الكفر وبالأخص الأميركيين والغرب عموماً.. كل هؤلاء أو جلّهم تراجع او انطوى على نفسه تاركاً من وقعوا تحت تأثير خطابهم التحريضي في مواجهة قدرهم فرادى..

تعيش الجماعة المسلّحة الآن دون غطاء ايديولوجي او بالأحرى شرعي، بعد أن كانت تحظى بدعم من قبل بعض المشايخ غير الرسميين والمعروفين بمواقفهم الدينية المتشددة، وهذا ما دفع بالجماعة لانتاج ايديولوجيين من باطنها، يضطلعون بتصميم الرؤية الكونية للجماعة المسلّحة ويؤكدون البعد الديني والشرعي في العمل النضالي العسكري.

لقد خسرت الجماعات المسلّحة نصيراً استراتيجياً وضرورياً حين تراجع المحرّضون الأوائل وصانعوا الخطاب التحريضي الجهادي، وبالتالي خسروا أيضاً قاعدة شعبية من وراء انسحاب المشايخ، والاهم من ذلك أن هذه الجماعات باتت غير محصّنة أمام أي اجراء تقدم عليه الحكومة.. وهذا ما يجعل افراد الجماعات هذه امام خيارين أحلاهما مر: اما الاذعان المهين او الانتحار المميت.

صدامات جدّة

فشل الحلّ الأمني

الرهان على أن السعودية ستكون هادئة، وهو الرهان الذي منّت به السلطة مواطنيها، وحلفاءها في الخارج، هو رهان خاطئ من أساسه.

فالمسألة لا تعدو تمنيات، حين يكون العلاج مبتوراً أو ناقصاً.

لقد اعتقدت السلطة السعودية أن الحلّ الأمني يمكن أن ينجح كما نجح في غيره من البلدان العربية والإسلامية، رغم أن النجاح ذاك كان محدوداً، كما في تونس ومصر والجزائر وغيرها.

والسبب أن السعوديين حين يتحدثون عن الإصلاح يشيرون الى (خصوصية سعودية) ممانعة له!

ولكنهم حين يتحدثون عن العنف لا يلتفتون الى هذه الخصوصية ونقصد بها خصوصية المؤسسة الدينية وفكرها، وخصوصية بناء الدولة وشرعيتها وعلاقة ذلك بالعنف المؤسس على أيديولوجيا دينية.

ضرب تنظيم القاعدة في الشهور الستة الماضية، وكانت الضربة الأكبر قد جاءت بقتل عبد العزيز المقرن زعيم تنظيم القاعدة، وقبلها الشيخ يوسف العييري قائد التنظيم.

الأمير عبد الله فاخر، في حديث له مع صحيفة السياسة الكويتية، بأن المملكة تقدم نموذجاً في مكافحة العنف والإرهاب لم تسبقها دولة فيه، وهو أنها توجّهت الى الرؤوس فقضت عليهم! وبالتالي ـ من وجهة النظر الرسمية ـ تمّ ضرب العصب الحساس الرابط بين قمة هرم الإرهاب وقواعده الشعبية بحيث تم تشتيت تلك القواعد الى حدّ الموت بغياب العقل المنظر. وفي ذات الإتجاه تحدث الأمير تركي الفيصل بأن المملكة واجهت مجرد ست خلايا إرهابية، وأنها قضت على أربع منها، ولم تبق إلا اثنتان. الى غير ذلك من التصريحات المتفائلة، التي حاولت السلطة أن تظهر قدراتها وقوتها.

ويبدو أن هناك مشكلة أساسية في فهم ظاهرة العنف في المملكة.

فتصريح ولي العهد بضرب الرؤوس الذي يؤدي الى شلل القاعدة، قد ينتج عكس ما يتمناه رجال الأمن. فالتشتّت يكاثر الخلايا الصغيرة، ويجعل أمر متابعتها أكثر صعوبة. فليس التفتيت دائماً هو الأفضل في المواجهة. أما مسألة عدد الخلايا، فما تحدث عنه تركي الفيصل يشير الى سذاجة في معرفة آلية الخلايا وحركتها وتكاثرها. فهو يعتقد أن العدد يبقى ثابتاً، ولا يتحدث عن الولادات الجديدة، وهو يتحدث عن رؤوس محصورة، وليس الى رموز تتوالد وأعضاء ينضوون إذا ما توافرت الظروف المحلية والإقليمية.

لقد بدا أن الحلّ الأمني قد نجح في احتواء العنف، حيث خفّت وتيرته بعد الضربات الشديدة والملاحقات المستمرة. ولكن الهدوء لم يكن سوى مرحلة يتم من خلالها (امتصاص) الضربة الحكومية من قبل التنظيم، وإعادة ترتيب الأوراق وإعادة الخطوط المقطوعة بسبب الملاحقات والإعتقالات. وكان من المتوقع أن تستمر العملية بضعة أشهر، وهو ما حدث بالفعل ليعود العنف من جديد وبشراسة وجرأة غير عادية بضرب مقر القنصلية الأميركية في جدّة.

الرهان على الحل الأمني، أُريد منه الإلتفاف على أمرين:

الأول: عدم البحث عن الحلول السياسية والإجتماعية والإقتصادية الموازية لاجتثاث العنف. وهذا يعني بالتحديد القيام بإصلاحات سياسية واقتصادية وثقافية واسعة وربما هيكلية لامتصاص فائض العنف الذي بات يقلق ويهدّد دول الجوار فضلاً عن السعودية نفسها.

والثاني: أن الحكومة من خلال التركيز على مكافحة الإرهاب بعنف الدولة، إنّما تتناغم مع الرؤية الأميركية، التي تعطي الأولوية لمكافحة العنف بالعنف العاري قبل أن تكون هناك أية إصلاحات. ولقد ظهرت الحكومة السعودية بهذا انها ضحية للعنف، وليست مفرّخة له. أو هي على الأقل مفرّخة (سابقاً) للعنف، ولكنها الآن تسعى لأن تواجهه. ولعلّ الحكومة كانت متحرّجة في الدخول في (نادي) الأميركيين تحت عنوان (مكافحة الإرهاب) ولكن العنف الذي طالها، أعطاها مبرراً ـ ولو قليلاً ـ على الصعيد المحلّي.



نايف: فشل الحل الأمني السعودي

دلالات الهجوم على القنصلية الأميركية

يحمل الهجوم الأخير على القنصلية الأميركية دلالات مهمّة فيما يتعلق بالأوضاع السعودية يمكن حصرها على وجه الإجمال بالتالي:

أولاً ـ أن المهاجمين استطاعوا أن يخترقوا أقوى التحصينات الأمنيّة المضروبة على المصالح والممثليات الأمريكية في المملكة. فمعلوم أن الأميركيين هم في قائمة الإستهداف بالنسبة لتنظيم القاعدة، وكانت القنصلية الأميركية في جدّة بالذات قد شهدت على مشارف بواباتها قبل شهرين حادثاً جرت التغطية عليه، ورغم وجود التحصينات الكثيرة والخرسانات المسلّحة، فإن تنظيم القاعدة نجح ـ من خلال المراقبة ـ في كشف بعض الثغرات

التي تمكن من خلالها الدخول الى مبنى القنصلية.

ان العملية الأخيرة، كشفت عن فشل أمني، ليس للحكومة السعودية وقواتها المرابطة بكثافة حول القنصلية، بل وللولايات المتحدة نفسها التي عادة ما تتخذ إجراءاتها الأمنيّة الخاصّة والإضافية. ولعلّ العملية الأخيرة تكشف عن فشل أمني مشترك بذات النسبة، بالرغم من أن الأميركيين ومن خلال استدعائهم لمائة من عناصر المارينز لحماية القنصلية، أوحوا بأن القوات الحكومية ليست على مستوى المسؤولية والكفاءة لتوفير الحماية للبعثات الدبلوماسية وخاصة الأميركية. وإذا كانت الحكومة السعودية ترفض في الغالب استقدام جنود خارجيين لحماية السفارات والبعثات، فإنها وجدت نفسها ضعيفة أمام الإلحاح الأميركي بعيد الهجوم على القنصلية، ولم يكن أمامها سوى الرضوخ.

ثانياً ـ إن الهجوم على القنصلية الأميركية في جدة، يثبت بوجه قاطع فشل (الحلّ الأمني). فقد سقط بشكل مريع هذا الرهان، فقد فعلت الحكومة أقصى ما بوسعها، وبالتعاون مع الإف بي آي (مكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي) لمواجهة تنظيم القاعدة وعناصره، وبالتالي فإن الإيغال أكثر باتجاه هذا الخيار، دون التفكير في الخيارات الأخرى التي يمكن لها أن تغيّر المناخ المولّد للعنف يعد اليوم أمراً مستهجناً.

الخيار الأمني كان لا بدّ أن يسقط، لأنه يفتقد مقومات النجاح. وإن تجفيف (منابع الإرهاب) كما يقولون، يتطلب حلولاً سريعة وبعيدة المدى تشمل كافة الأصعدة التعليمية والثقافية والفكرية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية. ومن المهم أن الحكومة التي تشعر بالزهو والغرور في النظر الى جماعات العنف، وفي تقديرها لقواها، هذه الحكومة عليها اليوم إدراك الحقيقة المرّة، فالعنف ثمرة مناخ وبيئة، ولا يحلّه القطع والدم كما يقولون.

ثالثاً ـ جاء الهجوم العنفي على القنصلية في وقت أعلنت في الحكومة السعودية بدئها بالإنتخابات المحلية، وهي نصف انتخابات، حيث تعين الحكومة النصف الآخر. ومع اعترافها المتكرر بأن الإقبال على التسجيل من قبل المواطنين ضعيف للغاية قد يصل الى مرحلة الإحراج، إلا أن العملية العسكرية الأخيرة، تكشف عن نزوع شعبي شديد تجاه المواجهة مع الحكومة، وعدم اقتناعه بالمشاريع السياسية الحكومية، التي لم تستقطب الإهتمام سواء لدى النخب أو لدى الجمهور العادي. إن العنف يتغذّى كثيراً على اليأس العام من أن الحكومة غير قادرة على إصلاح نفسها، أو إصلاح الوضع الإقتصادي المتدهور، أو حتى على البقاء. الشعور العام



رجال الأمن في حالة تخبّط

يقول بأن الدولة ونظام الحكم يسيران نحو الهاوية، وأن الإصلاح ميؤوس منه. وحين يأتي العنف ـ كما حدث في جدة ـ فإنه إنما يقرّر حقيقة ـ بالنسبة للمواطنين ـ بأن الزمان قد تغيّر وأن الدولة الى زوال.

رابعاً ـ بالرغم من أن العنف مصدره محلّي مضاف إليه بعض (البهارات) الخارجية من الباكستان وأفغانستان وغيرهما.. إلاّ أن الحكومة السعودية ورجالها وبعض المتعاطفين معها، يسعون الى تحميل (الخارج) أزمات الدولة الداخلية. السعودية في حقيقة الأمر منتج للعنف ومصدّر له للخارج. وأنّى توجهت ستجد سعوديين يمارسونه في الشيشان وأفغانستان والعراق والمغرب وغيرها. وأنّى توجهت ستجد الفكر السلفي ـ بنسخته الوهابية ـ هو المحرّض عليه؛ وأنّى توجهت ستجد أن المال السعودي ـ الحكومي وغير الحكومي ـ يسيل من المملكة باتجاه تلك المنخفضات العنفية في الخارج.

هذه حقيقة. ومن الخطأ تحميل فكر الإخوان المسلمين أو أفغانستان مسؤولية ما يجري.

إن تحميل الآخر مسؤولية العنف في المملكة، مسألة عارية عن الصحّة.

لكن هذا لا يلغي حقيقة أن الأوضاع الأقليمية تساهم في تأجيجه، وتدفع للترحيب به، كاحتلال افغانستان وفلسطين والعراق.

وإن حادثة الهجوم على القنصلية الأميركية تشير بوضوح الى التصدير وإعادة التصدير السعودي للعنف.

فالعملية سميت (غزوة الفلوجة).

ومن قام بها هم أعضاء في (سرية أبو أنس الشامي) الساعد الأيمن للزرقاوي والذي قتل في عمليات الفلوجة.

وقائد العملية السعودي فايز الجهني، ذهب للفلوجة وتعلّم هناك أصول القتال والحرب والتفجير.

إذن فإن عناصر التأثير الخارجي واضحة.

ولكن أيضاً فإن دوافع العنف عند السعوديين السلفيين (الوهابيين) حاضرة.

فلماذا يذهب السعوديون أكثر من غيرهم الى العراق؟

بالطبع لأن فكرهم، ولأن الأوضاع في بلدهم، ولأن الفتاوى الصادرة من علمائهم تدفع بهذا الإتجاه.

بكلمة أخرى، إن دوافع العنف المحلي التقت مع التأثيرات الخارجية التي هي مؤثرة ولكنها ليست حاسمة فيما تشهده المملكة من عنف.

خامساً ـ من الأمور المرتبطة بما ذكر، والتي لها آثار دراماتيكية على مستقبل العنف في المملكة، ما يتعلق بـ (المقاتلين السعوديين) في الخارج. فعناصر ما يسمى بـ (التيار الجهادي) والتي ركّزت في المملكة في ضرباتها على الأجانب، خاصة الأميركيين منهم، رغم الدعوات الى استهداف العائلة المالكة نفسها.. هؤلاء سيعودون الى المملكة عاجلاً أم آجلاً، وسينفجر العنف بأكثر مما هو عليه اليوم.

ما يدعونا الى توقع هذا، هو التجربة المريرة التي مرت وتمر بها المملكة، من (الأفغان العرب) أو بالأصح (الأفغان السعوديين). فبعد أن ضاق الأمر بهم في أفغانستان عادوا الى المملكة لينشروا فيها العنف والتطرف، وليصبح قيادات الجهاد في افغانستان، قيادات في المملكة، كما حدث بالنسبة للعييري والمقرن ومن يقاتل معهم الآن، أو بعضهم على الأقل.

وعلينا أن ننتظر (العراقيين العرب) أو (السعوديين العرب) وهم السعوديون الذين ذهبوا للقتال في العراق، وسيعود من يسلم منهم، بعد أن تنضبط الأوضاع الأمنية هناك بصورة أو بأخرى، حيث تقدر أعداد السعوديين

المقاتلين في العراق بين ٣-٥ آلاف عنصر، وحين يعودون ستكون ساحة (جهادهم) هي المملكة، وستتوجه بنادقهم الى (النظام السلولي الكافر) كما يسمونه. ولهذا السبب فإن الحكومة السعودية، ودولاً عربية أخرى تشعر بالرعب من احتمالية استقرار الأوضاع في العراق، فهذا الإستقرار سيفجّر العنف في معظم البلاد العربية، خاصة السعودية والأردن ومصر وسوريا، وغيرها، وهي البلدان التي أمدّت عناصر القاعدة في العراق بآلاف من المقاتلين.

كيف نواجه العنف

هذا السؤال شغل بال المثقفين والكتاب السعوديين، وقد أشبعوه بحثاً وكتبوا المطولات والمقالات، بل وقد تمت مناقشته في أحد مؤتمرات الحوار الوطني، الذي قدّم توصياته بهذا الشأن الى ولي العهد.

لكن ما يراه المثقفون والباحثون يختلف عمّا يراه الأمراء.

الأولون ينطلقون الى الحلول من علم ودراية، والأخيرون ينطلقون بنوازع شخصية وحسابات غير علمية.

مجمل ما يطرح لمكافحة غائلة العنف يدور حول النقاط التالية، والتي لم تتخذ الحكومة بشأنها خطوات عملية:

١ ـ انتشار الفكر العنفي الديني من خلال المنهج السلفي في التفكير والعقيدة. فالسلفية السعودية ـ الوهابية ـ تصنّع العنف، وتحرّض عليه وتدعو إليه وتصفه بأفضل الصفات. إنها توفر المشروعية لمواجهة الآخر، الذي كان أتباع المذاهب الأخرى، ثم عدا على السلطة السياسية نفسها فكفّرها واستباح دم أعضائها. والحكومة بهذا الشأن عمدت على تسويد هذا الفكر، ومنحته الذخيرة المادية للتمدّد حتى خارج المملكة، بل أنها قمعت كل الأصوات المخالفة له، أو المختلفة معه، فصارت الرؤية الأحادية هي السائدة، وتخرجت الأجيال الجديدة بعقليات لا ترى إلا نفسها ممثلة للحق والحقيقة والفئة الناجية. ومما زاد الأمر سوءً ان الإعلام الرسمي والمناهج التعليمية أصلت هذا العنف الفكري، الذي تحول فيما بعد الى العنف المادي. ولذا فإن المطالبات اليوم تدعو الى فتح الأبواب والنوافذ وإلغاء الأحادية الثقافية والمذهبية التي تخرج أجيالاً مشوهة عنفية. ولكن الحكومة لم تقم بشيء تجاه هذا حتى الآن.

٢ ـ انهيار الوضع الإقتصادي في المملكة، وانتهاء دولة الرفاه، والتي سببت كوارث نفسية واجتماعية، حيث وصل عدد السعوديين الذين هم تحت حد خط الفقر الى ثلاثين بالمئة حسب الإحصاءات الرسمية، ووصلت البطالة بين الذكور الى نحو ٣٠٪ فضلاً عن الأناث، وتعزّز



الدخان يتصاعد من القنصلية

الفساد بمختلف أصنافه، وانهارت الخدمات الحكومية الإجتماعية في الصحة والتعليم وغيرها. كل هذه الأمور، حرّضت المواطنين على اقتحام التابو السياسي، بل ان المجتمع السعودي تسيّس من خلال البوابة الإقتصادية ـ كما يقول محللون محليون. وإزاء الفشل الإقتصادي المتردي، تصاعدت النقمة على النظام، وتوسل البعض بالعنف، وتصاعدت الجريمة المسلحة والقتل وغير ذلك.

إن الأوضاع الإقتصادية المتردية اليوم تدفع بجماهير غفيرة من الشباب للإلتحاق بالتنظيمات الدينية ذات المنحى العنفي، وترى وسيلة الإصلاح للوضع عبر مساورة السلاح. ورغم توافر الإيرادات المالية مؤخراً بسبب ارتفاع أسعار النفط إلا أن الأمراء استباحوا كل المحرمات وتجاوزوا كل الخطوط الحمراء، ولا يتوقع أن يصل الى المواطنين سوى شيء قليل، بحيث أن هذه الوفرة المالية ـ وبسبب الفساد خاصة في العائلة المالكة ـ لن تكون ذات أثر على الوضع الإقتصادي المباشر لحياة المواطنين، وهذا ما يزيد النقمة اليوم أكثر وأكثر، خاصة مع وجود حاجات مستعجلة لا تنتظر التأخير.

٣ ـ الإنسداد السياسي. لقد تغير الكون من حولنا في المملكة، وتغيرت الدول وأنظمتها السياسية، وكلها بادر الى الإصلاح بصورة من الصور، قليلاً أو كثيراً. لكن في المملكة لم يتغير شيء، بالرغم من شحنة الوعي الطاغية التي توفرت للمواطنين منذ احتلال العراق للكويت، حيث أصبح الشعب مسيّساً، وأصبحت وسائل الإعلام والتقنية الحديثة أداة فعالة في إقحام المواطنين في الموضوع السياسي. وكان يمكن للمواطنين أن يبقوا على جهلهم السياسي، لولا الأحداث السياسية العاصفة التي مرت بالمنطقة والتي كانت المملكة في صميمها، أبتداء من احتلال الكويت ومن ثم تحريرها، وانتهاءً باحتلال العراق، مروراً باحتلال أفغانستان وقبلها غزوة مانهاتن! (اي أحداث الحادي عشر من سبتمبر)... الخ. لقد نقلت هذه الأحداث المواطنين عشرين عاماً الى الأمام من حيث الوعي.. ومما زاد الأمر سوءً بالنسبة لآل سعود، هو سوء الوضع الإقتصادي الذي جعل المواطنين مفتوحي العيون على ما تقوم به العائلة المالكة، ومن ثم بلورتهم لمطالب سياسية وتساؤلات سياسية عن ثروة البلاد كيف نهبت ولماذا ومن قام بذلك والى متى يستمر الحال وكيف يمكن إصلاح الوضع؟

الحكومة من جانبها، كان يمكن لها تفادي سوء العاقبة لو أنها نجحت اقتصادياً، إذ لو حدث ذلك لكانت الإرتدادات السياسية محتملة، ولكان بإمكانها البقاء على حالها سياسياً، أي لا تشعر بأنها مطالبة بالتغيير والإصلاح. أما أن يتغير الجوار الإقليمي، ويتغير المواطن ثقافياً وسياسيا، ويتغير الوضع الإقتصادي، ثم بعد هذا يرفض الأمراء تقديم حتى تنازل سياسي صغير يمتص النقمة العامّة.

إن سياسة إغلاق الأبواب والشبابيك سياسياً واقتصادياً وحتى إعلامياً وثقافياً، تصنع انفجارات مدوّية، نظراً لعدم وجود تنفيس للإحتقان. وأول ما يبدأ به المحتقنون هو (الإنفجار) وليس غيره. والإنفجار هو (العنف). ولذا أصبح العنف سابقاً على الإصلاحات. ولما قيل للأمراء بأن الإصلاحات السياسية تخفف من غلواء العنف، أمعنوا في العنف المضاد وقمعوا الإصلاحيين ووضعوهم في السجون. وكانت النتيجة هي أن لا صوت يعلو فوق صوت العنف وحركة العنف والدعوة الى العنف.

وبغياب الإصلاحات السياسية ينزوي المعتدلون ويتقدم العنفيون ليجيبوا الحكومة بنفس لغتها.

وإذا لم تأتِ إصلاحات حقيقية وشاملة ومقنعة في نفس الوقت للجمهور، فإن ليل العنف في المملكة سيكون طويلاً طويلاً طويلاً.

والأيام قد تثبت صدق هذا المدّعى من عدمه.

بيان عن محاكمة الاصلاحيين الثلاثة

القضاء تحت سيطرة الامراء

محمد عبد الله الدريبي

بيان إعلامي عن محاكمة الإصلاحيين الثلاثة الدكتور عبدالله الحامد والدكتور متروك الفالح والاستاذ علي الدميني بشأن الجلسة التي تمت يوم الاربعاء ١٨/١٠/١٤٢٥هـ حيث بدأ الجمهور بالتوافد من الساعة الثامنة فلاحظوا أن الطرق المؤدية إلى المحكمة فيها رقابة شديدة، وكان عند بوابة المحكمة عساكر يسألون عن غرض القادم إلى المحكمة، فإن كان غرضه حضور محاكمة الإصلاحيين منعوه، فالذين صرّحوا بغرض الحضور مُنعوا من الدخول على اعتبار أنهم مؤيدون للإصلاحيين، أما بعض من الناس فلم يصرِّحوا بالغرض فدخلوا ولكن تم احتجازهم في الدور الأول، فيما تم منع الجزء الأكبر من الجمهور من الدخول .

لقد تجمع الناس في الساحة خارج المحكمة مقابل البوابة فتتبعتهم الاجهزة الامنية في محاولة لإبعادهم وتم فعلياً إبعاد أكثرهم ورفض أكثر من خمسين شخص تقريباً من الانصراف وقال الجمهور إن الاعلان عنها كونها محاكمة علنيه فكيف تمنعوننا فهددهم رجال الامن بالإعتقال وقالوا سنعتقلكم وسنحيلكم إلى محاكمة بإعتباركم مثل هؤلاء (أي من دعاة الدستور وحقوق الشعب المدني واستقلال القضاء) فأصرّ الجمهور على البقاء فطلب الضابط المسؤول المساعدة بفرقة إضافية لاعتقالهم فأحضر باص يسع لحوالي خمسين فرداً فقال رجال الأمن من لا يرد الانصراف فليركب إلى الباص فاندفع الجمهور الى الباص وعرفنا أن منهم عيسى و عبد الرحمن الحامد أخوة الدكتور عبد الله الحامد وعبد الرحمن واخوه محمد الذكير وصالح الصويان وكذلك علي العنيزان وأحمد القفاري وكذلك تم القبض على شاهد خان مراسل سعودي جازيت وتم اعتقال مراسل جريدة المدينة عبد الله العبدلي وقد شاهدت هذه الإعتقالات وكالات الأنباء ثم أنفض التجمع الساعة الثانية عشر. علماً بان رجال الأمن قاموا بضرب عدد من الناس من أجل فض التجمع فضربوا عدداً منهم وأحدهم عامر متروك الفالح ابن الدكتور متروك الفالح.

الأحداث التي دارت بالمحكمة

تم إحضار الإصلاحيين الثلاثة (الحامد والفالح والدميني) إلى المحكمة الساعة الثامنة وخمسين دقيقة وأدخلوا من البوابة الخلفية باتجاه الدور السادس ثم تم انزالهم إلى الدور الخامس عن طريق السلالم وأوهموا بوجود الجمهور بالقاعة في مجلس القضاء ثم جرى حجزهم في إحدى الغرف، وبعد ذلك طلب منهم الدخول إلى قاعة المحكمة فاشترطوا أن يكون الجمهور حاضراً وبعد مناقشة جاء رئيس المحكمة وطلب منهم أن

يجتمع معهم، فقالوا نجتمع ولكن بغير مجلس القضاء، ثم اجتمع بهم بغرفة مقابل مجلس الحكم وعرض عليهم أن يقبلوا بمحاكمة سرية وان مسألة العلانية لا تقدّم ولا تأخر بهذا المضمون وان المحكمة لا ترغب أن ينفتح الباب للعلنية في المحاكمات السياسية لأنه قد يخلّ بآداب المحكمة وهوّن من قدر الجمهور فرد عليه الدعاة التالي:

١- أن المحاكم السرية غير مشروعة لا في الشريعة الإسلامية ولا في القانون.

٢ - انه إذا كان للقاضي حق في تحويل المحاكمة إلى سرية فهذا الحق مشروط بالمشروعية ومصلحة العدالة والمتهم السياسي خصمه الدولة ولا يتبين استقلال القضاء الا بالعلانية.

٣ - أن القاضي سمح للدولة بأن يلقي (المدعي العام) اتهاماتهم علانية والجلسة مملوّة بالجمهور ومبدأ التسوية بين الخصمين يقتضي إتاحة الفرصة للمتهم بالعلانية في دفاعه لأنه هو الطرف الاضعف.

٤ - أن القضاء لم يثبت استقلاله من تدخلات السلطة التنفيذية والدليل أن القاضي قبل من وزير العدل أن يعزل خمسة من المحامين وهذا دليل على سيطرة السلطة التنفيذية على القضاء.

٥ - أن المحاكم لا زالت تواصل المحاكمات السرية التي يأتي بها المتهم سراً من الأبواب الخلفية حيث احتمالات التعذيب في البوليس واردة وحيث قيام القضاء بالتدليس عليها أيضا وارد وهذا يدل ايضاً على عدم استقلال القضاء.

٦ - إن من علامات عدم استقلال القضاء أن ممرات المحاكم وصالاتها يديرها الآن رجال الأمن ورجال الأمن هؤلاء تابعون للداخلية.. وإن الذي يدل على استقلال القضاء هو أن يكون للمحكمة حرس خاص بها يحمل شعارها ويأتمر بأمر رئيسها أما هذا الذي نراه فهو يدل على عدم استقلال القضاء.

٧- أنهم لم يروا أحداً من القضاة يزور السجون ليتفقد أحوال المساجين وهذا يدل على أن القضاة لا يمارسون واجباتهم في التأكد من أوضاع المساجين والتأكد من عدم وجود معتقلين من دون الإحالة إلى القضاء وهناك ملف ضخم لهذه الأمور.

٨- قالوا إن العدالة لا تتجزأ ولا يحتمل أن ينصف القضاة ماداما مكبلاً بالأنظمة وضربوا لذلك مثلاً فقالوا هناك صك لأحد الأمراء أفرغ بثماني مليون متر مربع، فهل هذا من الشريعة العادلة والعادلة لا تتجزأ ما دام القضاة يقبلون بمثل هذا الأمر.

ثم أبرزوا له النقاط العشرين لاستقلال القضاء بمذكرة موصلة على الشريعة فرفض استلامها وبين لهم انه يتكلم بحدود اختصاصه الجزائي وهو إدارة المحكمة فلم ينته الامر بنتيجة وأثناء خروجه يبدو أنه اعطى إشاره لرجال الامن التابعين لوزارة الداخلية فقاموا بدفع المتهمين دفعاً حتى أدخلوهم مجلس القضاء قصراً وجبرا.

لقد تم إدخال المتهمين بالعنف اليدوي كما تم



بالجلسة (المفترضة) الرابعة فرفضوا المحاكمة السرية كما حصل في الجلسة المفترضة وعند ذلك تمت كتابة محضر ينص على أن القضاة يرون عدم النظر بالدعوى لانه حسب ما قالوا ليست من اختصاصهم.

الغريب في الأمر أن القضاة لم يكتشفوا أن القضية خارج اختصاصهم إلا بعد تسعة أشهر من اعتقال المتهمين بتاريخ ١٤٢٥/١/٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤/٣/١٦م وبعد ثلاثة اشهر من بدء الجلسة الأولى بتاريخ ١٤٢٥/٦/٢٣هـ الموافق ٠٤ ٢٠/٨/٩.

يقال أن السبب في اعتبار القضاة خارج الاختصاص أن هناك اختلافاً بين أكثر أعضاء الهيئة وبين رئيس المحكمة حول مسألة العلانية وان أرادوا أن يخرجوا من الأشكال ويقال أن السبب أن هناك توجيهات من الأمراء بحبسهم مدة تتراوح ما بين خمس إلى عشر سنوات، ولعل القضاة أرادوا أن يخرجوا من هذا المأزق الذي كشف عن مدى خضوع القضاة للسلطة التنفيذية بإحالتها إلى محكمة جزئية.

الوهابيون واحتلال الحجاز

يتفق المؤرخون على أن من أهم وأبرز نقاط الاختلاف بين آل سعود وأشراف الحجاز هو: قبول عدد قليل من القرى والقبائل الحجازية للفكر الوهابي.. وحين يستعرض المؤرخون المعارك التي سبقت احتلال الحجاز يرى أنها كانت حول هذه النقط بالذات..

ومن جانب آخر يتفق المؤرخون أيضاً أن من أسباب قوة آل سعود في مواجهة الشريف غالب حاكم الحجاز آنذاك اعتناق قلة من القبائل الحجازية المسبق للوهابية، فأتاح لآل سعود فرصة الهجوم بعد أن كانوا ردحاً من الزمن في حالة دفاع.. ويضاف الى ذلك يرجع المؤخرون سر الانتصارات السعودية الى وجود معتنقين للوهابية، حيث كان انتشار الدعوة في الحجاز عاملاً مهماً لفتحه..

يقول عبد الرحمن١:

(وكانت مبادىء الدعوة السلفية قد تسرّبت الى الحجاز واعتنقها بعض الأعراب، ولذا خشي الشريف غالب ان تصبح خطراً يهدد بلاده)، لذا عمل على استمالة بعض القبائل من مطير حيث لجأت إليه، والتي أعلنت ولاءها للدرعية فنقضت عهدها.. كما عمل على مكاتبة زعماء بني خالد ـ في الاحساء قبل زوالهم ـ ووعدهم بالمال ـ كما يقول صاحب اللمع.

وكان عبد المحسن السرداح حاكماً على الاحساء آنذاك.. ومن جهة أخرى أخذ الشريف غالب بشن حملاته العسكرية الفاشلة في مجملها على القبائل التي دخلت سلك الدعوة الوهابية.. فلم يستطع ان يمنع من انتقاص ملكه الذي بدأ يخرج عن طاعته من بين يديه..

ويعتقد المؤلف أيضاً، أنه بعد مرحلة التصادم بين قوات آل سعود والاشراف تغير الموقف لصالح الطرف الأول لعدة عوامل:

(ومن بين هذه العوامل انضمام بعض القبائل الحجازية في تربة ورنية وبيشة الى الدعوة السلفية وانشغال الشريف بمحاربتهم منذ ١٢٠٦هـ..١٧٩١. ومن العوامل التي أضعفت مركز الاشراف في تلك الآونة اعلان قبائل عسير القوية وتهامة اعتناق مبادىء الدعوة السلفية والخضوع لنفوذ الدرعية، ولذا أصبحت أملاك الأشراف في الحجاز مهددة من الداخل والخارج، مما أجبرهم على تغيير خططهم الحربية، والتزامهم موقف الدفاع)٢.

ويعود الكاتب فيؤكد مرة ثالثة (ص ١٣٢) على دور معتنقي الدعوة الوهابية الحاسم في الانتصار على الاشراف، ورابعة أيضاً (ص ١٣٧)، فحين يذكر أسباب سقوط الحجاز وضمّه لسلطة السعوديين السياسية يؤكد على :(انتشار مبادىء الدعوة السلفية بين كثير من سكان الحجاز حيث أن بعض العناصر أقبلت على اعتناق مبادىء التوحيد، قبل أن يصل نفوذ آل سعود اليها، ومهّدت هذه العناصر الطريق أمام سلطات الدرعية، حيث أنها أصبحت على وفاق مع آل سعود من الناحية الدينية، وعندما أتيحت لهذه العناصر فرصة الاتصال بآل سعود فإنها سرعان ما أعلنت ولاءها التام لسيطرة الدرعية..).

أما هجوم قوات الاشراف على أطراف نجد، فإن بعض المؤرخين يعتقد بأن عددها ينوف عن خمسين غزوة تخللت خمسة عشر سنة في الصدام السياسي والعسكري والديني مع سلطان آل سعود (١٢٠٥ الى ١٢٢٠) ولا تكاد تخلو سنة من هذه السنين الا وقعت خلالها معركة، وفي الغالب لم تكلل حملات غالب العسكرية التي شنّها بالنجاح.. ويجدر بنا أن نوضح هنا بعض المعارك التي خاضها الشريف ضد القبائل والمدن والقرى التي كانت خاضعة لسيطرته والتي قبلت بمبادىء الوهابية فانشغل بمحاربتها..

(في سنة ١٢١١هـ جهّز الشريف جيشاً بإمرة السيد فهيد بن عبد الله، فأرسل سرية للخدمة فقتلت منهم ـ أي من أتباع الوهابية ـ ثم أغار على قوم من حرب توهبوا ـ أي اعتنقوا الدعوة الوهابية ـ ثم ارتحل عنهم).

(وفي سنة ١٢١٢هـ جهّز جيشاً بإمرة السيد فهيد على قوم من حرب في عريق الدسم توهبوا وعاد سالما، ثم جهّز جيشاً بإمرة السيد مبارك فأغار على قوم من حرب توهّبوا بموضع يقال له العلم.. الخ).

والجدير بالذكر أن تراجع موقف الاشراف مكّن سعود من الوصول قرب (تربة) عام ١٢٠٩هـ، فحاصر قرى وبلاد تلك الناحية واستمرّت عملياته بالعنف، مما اضطر أهالي بعض القرى الى مصالحته وإعلان الخضوع للدرعية، فأتاح ذلك الفرصة أمامه لانزال العقاب بالقرى التي لم تصالحه..٣.

ومع الاغارات المتوالية وإخضاع العديد من القرى الحجازية بالقوة، وضعف الشريف اقتصادياً وعسكرياً وتحول ولاء القبائل نحو الدرعية، طلب الشريف الصلح فانعقد في (سنة ١٢١٢هـ في جمادى الأولى) بين الشريف غالب وبين الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود، وجعلوا حدوداً للأراضي والقبائل التي تحت طاعة الشريف وطاعة ابن سعود، وأخذت العهود والمواثيق بينهم على ترك الحرب، وأن يحج الوهابيون.. فحج العديد منهم في تلك السنة، وما تلاها، وفي عام ١٢١٤هـ، حج سعود واجتمع بالشريف في خيمة شربت لهما بالأسطح، وحج سعود مرة أخرى عام ١٢١٥هـ مع جند يزيدون عن عشرين ألفاً..

وانتقض الصلح عام ١٢١٧هـ بسبب اعتناق بعض القبائل الدعوة الوهابية من جهة وتصرفات سعود الكبير من جهة أخرى..

(وظل الصلح بين الطرفين قائماً حتى عام ١٢١٧ هـ ـ ١٨٠٣م، حينما طرأت على الموقف عوامل جعلته عديم الجدوى.. ومن بين هذه العوامل انضمام بعض القبائل التي كانت تابعة للشريف غالب الى جانب الدرعية واعتناقها لمبادىء الدعوة السلفية، بالاضافة الى إزدياد النفوذ السعودي بصورة سريعة في تهامة وعسير، وتوغل القوات السعودية في شمال اليمن وخاصة في المخلاف السليماني.. ومنها أيضاً استمرار العمليات السعودية في منطقتي بيشة ورنية بقيادة ربيع بن زيد..)٤.

(واتهم الشريف غالب الدرعية بأنها تعمل عل نقض الصلح وذلك بأنها تراسل كثيراً من مشايخ القبائل التابعة له، ومن بينهم شيخ قبيلة محايل سعدي ابن شار وشيخ قبيلة بارق احمد زاهر اللذان

أوعزا الى كثير من القبائل بالتخلي عن كفة الشريف غالب، ورغبا إليهما الانضمام الى الجانب السعودي.. كما أتهم الشريف غالب الدرعية أيضاً، بأنها ترسل الى القبائل من يقومون بإسادها ويبث فيها روح الكراهية ضده، ورأى في هذه الاعمال من جانب الدرعية نقضاً للصلح، ولذا أرسل إليها وفداً من لدنه ليطلعها على حقيقة الأمر كما يراه الشريف، وكان على رأس هذا الوفد عثمان بن عبد الرحمن المضايفي)..٥.

وآل سعود لا يردون التهمة - تهمة نقض الصلح - وقد تبين أنهم وراءه حين انشق المضايفي ووالى آل سعود.. في الوقت الذي أشارت فيه بعض المصادر الى سعود الكبير بإصبع الاتهام، وتدبير نقض الصلح..

(في خلاصة الكلام أن سعوداً مازال يدس الدسائس بعد الصلح، ويكاتب مشايخ الأعراب سراً كشيخ محايل وشيخ بارق، فصار يفسدان القبائل حتى انتقض الصلح).

ورجع الوفد الذي بعثه الشريف الى الدرعية بتطمينات باردة لعدم الاعتداء والتحقق في الأمر.. وفي هذه الاثناء عادت الأمور الى سابق عهدها بين الحكام السعوديين والشريف غالب الذي جرد بعض الحملات العسكرية ضد القبائل الموالية للدرعية، والقاطنة جنوب شرق مكة المكرمة.. وفي هذه الاثناء أيضاً وقع الانشقاق بين غالب وصهره عثمان بن عبد الرحمن المضايفي شيخ قبيلة العدوان، ولم تذكر أي من المصادر سبب الانشقاق، وحتى المصادر السعودية والمقرّبة منها لم تشر لها، كابن بشر في (عنوان المجد) وصلاح الدين المختار في كتابه المعروف وكذلك الغنّام.. ويبدو أن سبب الانشقاق كان بتدبير من آل سعود لتصديع جبهة الشريف الداخلية، ولكن انضمام المضايفي لآل سعود كان من أجل الحكم والسيطرة، فتلاقت مصالح الطرفين.. وليس صحيحاً أن انضمامه لهم كان لإعجابه بالنظام السعودي أو اقتناعه بمبادىء الوهابية، إذ يتفق عدد من المؤرخين على أن انحيازه للدرعية كان من أجل المنصب. وقد أثبت ذلك من خلال لقائه مع الأمير عبد العزيز، إذ بمجرد أن قابله قال عثمان لعبد العزيز:(يا عبد العزيز بشرني بالامارة وأبشرك بمكة كلها، وأطلب منك أن تخلي لي المجلس لأمور سأبديها، فاختلى معه وحدثه بكلام طاب له وأمره على الطائف وما حوله من العربان)٦.

ويكمل ابن بشر قصة احتلال المضايفي للطائف بمساعدة قوات الأمير عبد العزيز بالقول:

(وفارق الشريف وزيره عثمان بن عبد الرحمن المضايفي وخرج من مكة وترك الشريف ونابذه، ووفد على عبد العزيز وبايعه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، ونزل بلدة العبيلا القرية المعروفة بين تربة والطائف، واجتمع عليه جنود من أهل الحجاز وغيرهم.. ثم سار الشريف غالب بالعساكر والجموع ونازله في العبيلا ووقع قتال، ولم يحصل الشريف على طائل ورحل عنه ودخل الطائف. ثم إن عثمان المضايفي استنجد من يليه من المسلمين من الحاضرة والبادية، فسار إليه بن شكبان بأهل بيشه وقراها ومصلط بن قطنان بأهل رنية وقراها، ومن كان عنده من سبيع، وسار أيضاً أحمد بن يحي بأهل تربة ومعه البقوم، وسار اليه غير ذلك من عيبة وغيرهم، فاجتمعت تلك الجموع عند عثمان فساروا الى الطائف وفيها غالب الشريف وقد تحصن فيها، فألقى الله في قلبه الرعب وانهزم الى مكة وترك الطائف فدخله عثمان ومن معه من الجموع وفتحه الله لهم عنوة بغير قتال (كذا!) وقتلوا من أهله في الأسواق والبيوت نحو مائتين..الخ)٧.

ويذكر كاتب آخر (فدخلوا - أي الوهابيون - البلد عنوة في ذي القعدة سنة ١٢١٧هـ وقتلوا الناس قتلاً عاماً حتى الاطفال، وكانوا يذبحون الطفل الرضيع على صدر أمه وكان جماعة من اهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين فأدركتهم الخيل وقتلت أكثرهم، وفتشوا على من توارى في البيوت وقتلوه، ودخل نيف وعشرون رجلاً الى (بيت الفتنى) ومائتا رجل الى (بيت الفعر) وامتنعوا عن التسليم وقاتلوا ثلاثة أيام فراسلهم ابن شكبان بالأمان وقال أنتم في وجه ابن شبكان وعثمان، وأعطوهم العهود فكفوا عن القتال، فأرسلوا جماعة أخذوا منهم السلاح، وقالوا لا يجوز للمشركين حمله، ثم أمروهم بالخروج لمقابلة الأمير فأمر بفتلهم جميهم بقوز يسمى (دقائق اللوز) وكان من بيوت ذوي عيسى نحو الخمسين مترسين يرمون الرصاص فأخرجوهم بالأمان على النفس دون المال فسلبوهم وأخرجوهم الى وادي (وج) وتركوهم فيه مكشوفي السوأتين ومعهم النساء حتى رموا عليهم أطماراً بالية..الخ).

ويذكر المؤلف قولا للجبرتي عن هذه الاحداث، حيث ذكر الجبرتي المؤرخ المصري المعروف (أن الوهابيين حاربوا الطائف ثلاثة أيام حتى دخلوها عنوة، وقتلوا الرجال وأسروا النساء والأطفال وهذا دأبهم مع من يحاربهم..).

وفي هذه الاثناء قرر سعود فتح مكة فانضم جيشه للقوات الفاتحة للطائف، وسار بها الى مكة فانسحب الشريف غالب منها الى جدة وأخلى الطريق للقوات النجدية والحجازية بالدخول اليها..

وقبل ان يصل سعود الى مكة أعطى إنذاراً للحجاج الشوام والمصريين والمغاربة وغيرهم بالخروج في غضون ثلاثة أيام فخرجوا خوفاً.. وكان أخ الشريف غالب اسمه عبد المعين قد أرسل كتاباً الى سعود يطلب فيه الأمان لأهل مكة وبذل الطاعة له في المقابل، بشرط أن يكون هو عامله فيها، وأعطى الكتاب لعدد من أفاضل مكة.. فوافق سعود وأعطى الأمان وولى عبد المعين شريفاً قبل أن يصل..

ودخل سعود مكة في الثامن من محرم عام ١٢١٨هـ، واجتمع بالاهالي وطلب منهم البيعة وأمر بهدم القبب حيث استمر الهدم بضعة عشر يوماً - على حد قول ابن بشر - ثم رحل سعود من مكة واتجه نحو جدة فحاصرها فوجدها محصّنة، ولذا عاد وتركها الى موطنه.. فعاد الشريف غالب الى مكة مرة أخرى واستولى عليها..

وفي هذه السنة اغتيل الأمير عبد العزيز بتدبير حاكم بغداد الوالي من قبل العثمانيين، واستلم من بعده ابنه سعود زمام الأمور..

في عام ١٢١٩هـ أمر سعود عبد الوهاب أبا نقطة، أمير عسير والمجع ونواحي تهامة، بأن يتوجه الى جدة ويحارب الشريف، فاقترب من مكة ومن جهة البحر بمسافة يومين ونصف، والتقى هناك مع جنود الشريف غالب فتقاتلا، وانتصر ابو نقطة وقتل الكثير من قوات الشريف كما غنم من أسلحتهم وأموالهم الشيء الكثير وقفل راجعاً..

وفي عام ١٢٢٠هـ أمر سعود جميع رعاياه بالمسير الى مكة فتجمع حوالي (١٢٠) ألف مقاتل، وأمرهم بمحاصرتها ومنع دخول الحاج الشامي إن كان محارباً، فخاف الشريف غالب وطلب الصلح مرة اخرى، وأعلن ولاءه للدرعية فصالحوه وبقي والياً عليها من قبل السعوديين، ثم دخلت الجنود الى مكة حاجة ومعتمرة وأعرضوا عن الحج الشامي ولم يمسوه بأذى)٨.

والواقع لم يكن دخول القوات السعودية عادياً، فالسمعة التي يحملها الناس عنهم سيئة قاتمة مرعبة.. ولهذا يؤكد كشك في كتابه (السعوديون والحل الاسلامي) ص ١٣٠ على ما أسماه (الرعب الذي زرعه المجاهدون في النفوس المستضعفة أثناء دخولهم مكة، والذي

سيظل ملتصقاً بسمعة المجاهدين في الجيش السعودي ليكون عاملاً أساسياً من عوامل النصر في حروب الملك عبد العزيز) مشيراً في ذلك الى دخول الملك عبد العزيز لمكة بذات الوسيلة (الرعب) الذي جهد لأن يكون مسيطراً على الأهالي بعد مجازر الطائف وخرمة وتربة..

الاستيلاء على المدينة

بعد الاستيلاء على مكة توجّه سعود نحو المدينة فلما قرب الى المدينة أرسل الى أهلها بدخوله، فأبوا وامتنعوا من ذلك. فحمل عليهم كراراً حتى دخلها بعد وصوله بخمسة وعشرين يوماً، فقتل منها بعض الناس حيث سمى اهلها الناكثين، لذلك استباح دمهم حتى بعد الحرب، فدخل مسجد رسول الله (ص) ولبث فيها عشرة أيام لم يحرك منها ساكناً٩.

(ويوم الحادي عشر، جاء هو وبعض أولاده ومن يعزّ عليه، فطلب الخدم السودان الذين يخدمون حرم النبي، فقال: أريد منكم الدلالة على خزائن النبي، قالوا بأجمعهم.. نحن لا نوليك عليها، ولا نسلطك، فأمر بضربهم وحبسهم، حتى اضطروا الى الاجابة، فدلوه على بعض من ذلك فأخذ كل ما فيها، وكان فيها من النقود ما لا يحصى ، وفيها تاج كسرى أنوشروان، الذي حصل عند المسلمين لما فتحت المدائن، وفيها سيق هارون الرشيد، وعقد كان لزبيدة بنت مروان زوجته، وفيها تحف غريبة من جملة ما أرسله سلاطين الهند بحضرته (ص) تزيناً لقبته (ص).

وأخذ قناديل الذهب، وجواهر عديدة، ثم أنه رتّب في المدينة أحداً من آل سعود، وخرج الى البقيع يريد نجداً، فأمر بتهديم كل قبة كانت في البقيع، وتلك القبب قبة الزهراء فاطمة بنت الرسول (رضي الله عنها) وقبة الحسن بن علي (رض) وقبة على بن الحسين (رض) وقبة محمد الباقر، وقبة جعفر الصادق، وقبة عثمان (رض) أجمعين.١٠.

ويذكر الجبرتي أن سعوداً (استولى على المدينة وأخذ تلك الذخائر، فيقال أنه عبّى سحاحير من الجواهر المحلاة بالألماس والياقوت العظيمة القدر، وفي ذلك أربعة شمعدانات من الزمرد وبدل الشمعة قطعة من الماس مستطيلة يضيء نورها في الظلام، ونحو مائة سيف قرابتها ملبّسة بالذهب الخالص، ومنزّل عليها الماس وياقوت، ونصابها من الزمرد واليشم ونحو ذلك، وسلاحها من الحديد الموصوف كل سيف منها لا قيمة له (أي لا يقدر بثمن) وعليها دمغات باسم الملوك والخلفاء السالفين وغير ذلك)..

والسؤال:

لماذا استولى سعود على ما في الحجرة النبوية؟!

المؤيدون لسعود أجابوا بأن الاستيلاء على حسب مفاهيم الدعوة الوهابية جائز ومن جهة أخرى كان من أجل تغليب منفعة عامة على خاصة.. ويؤيد هذا القول المؤرخ المصري الجبرتي وجلال كشك، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، الذي وضع كشك كلامه حول الموضوع من أجل التغطية الدينية.. ونحن هنا نذكر ما قاله حفيد الشيخ ثم نورد ما عندنا من إشكالات.. يقول:

وأما التجاسر على حجرة رسول الله فإنه، رحمة الله ـ ويقصد سعوداً ـ لم يفعل هذا الا بعد أن أفتاه أهل المدينة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية فاتفقت فتواهم على أنه يتعين ويجب على ولي الأمر إخراج المال الذي في الحجرة وصرفه في حاجة أهل المدينة وجيران الحرم، ولأن المعلوم السلطاني قد منع في تلك السنة، واشتدت الحاجة والضرورة الى استخراج هذا المال وإنفاقه، ولا حاجة لرسول الله الى ابقائه في حجرته وكنزه لديه، وقد حرم كنز الذهب والفضة وأمر بالانفاق في سبيل الله، لا سيما إذا كان المكنوز مستحقاً لفقراء المسلمين وذوي الحاجة منهم كالذي بأيدي الملوك والسلاطين، فلا شك أن استخراجها على هذا الوجه وصرفها في مصاريفها الشرعية أحبُ الى الله ورسوله من إبقائها واكتنازها، وأي فائدة في إبقائها عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأهل المدينة في أشد الحاجة والضرورة اليها..

وتعظيم الرسول وتوقيره إنما هو في إتباع أمره والتزام دينه وهديه، فإن كان عند من أنكر علينا دليل شرعي يقتضي بتحريم صرفها في مصالح المسلمين فليذكره لنا.. ولم يضع هذا المال أحد من علماء الدين الذين يرجع إليهم، وليس عند هؤلاء إلا إتباع عادة أسلافهم ومشايخهم..)١١.

بادىء ذي بدء، يجب أن نورد هذه الملاحظة، وهي أن الشيخ عبد اللطيف الذي أوردنا دفاعه عما أخذه سعود ولد عام ١٢٢٥هـ وتوفي عام ١٢٩٣هـ فكان ميلاده بعد الاستيلاء على المدينة والحجرة النبوية بأربع سنوات، وعليه فإن الشيخ حين يدافع إنما يدافع عن حقبة زمنية سبقته وليس هو شاهد عيان ومعاصر للحدث.. هذا أولاً..

وثانياً: حسب المعتقدات الوهابية، ليس هناك حكم شرعي ضد أخذ المال وإنفاقه في الصالح العام.. وقد أكد الشيخ عبد اللطيف وغيره من المؤيدين أنه: طالما أن المال أخذ من أجل إنفاقه على الفقراء والمعوزين فليس هنالك من بأس.. ولكن هل كان حقاً أخذ المال من الحجرة من أجل الانفاق على الصالح العام وبالذات أهالي المدينة الفقراء؟!

جاء في الحديث (إنما الاعمال بالنيّات، وإنما لكل أمرىء ما نوى..الخ) فهل كانت نية سعود الاصلاح حقاً؟.. وهل اتبع ذلك بالعمل الصالح؟!

صادرت القوات السعودية ذخائر المسجد النبوي بحجة انفاقها على المسلمين ثم اعطوها لمحمد علي باشا قهراً

لم تذكر أي من المصادر التاريخية أن سعوداً طلب من مفتي المذاهب أن يعطوه رأيهم في أموال الحجرة، أو أنهم أفتوه بوجوب أخذها وإنفاقها قطعياً.. كما لم تشر المصادر الى أي نوع من التعمير والانفاق أو الاصلاح فعله سعود في المدينة، إذ لم يبق الا أياماً معددة وخرج بالأموال.. وأما ما يذكره المؤرخون عن انتعاش الحالة المعيشية، فإنما تم ذلك بعد استتباب الأمن ولم يكن بسبب إنفاق سعود..

ومما يؤكد أن سعوداً استولى على الذخائر من أجل مصلحته الشخصية هو بقاء جزء منها ـ لا أقل ـ في بيته، ثم ورثها إبنه حتى سقطت الدرعية عام ١٢٣٣هـ.. أي أن هذه المجوهرات بقيت في حوزة سعود ثمان سنوات وفي حوزة ابنه عبد الله (المترف كأبيه) أربع سنوات..

يقول كشك المدافع الأول عن سرقات سعود الكبير حول وصول عبد الله بن سعود لمصر وتسليمه الذخائر الى محمد علي باشا:

(وصل عبد الله بن سعود أسيراً، وسلم ما كان بحوزة أبيه من مجوهرات الحجرة النبوية، ورحلوا عبد الله الى الآستانة حيث أعدمه الأتراك، رغم شفاعة محمد علي).١٢.

وعلى هذا نطرح هذا السؤال:

لماذا بقيت المجوهرات في بيت سعود؟، ولماذا أرجعها عبد الله الى محمد علي باشا إذا لم يكن معترفاً بالخطأ.. خطأ السرقة؟ ثم هل ما

أرجعه هو كل المجوهرات والذخائر؟.. وهل أن سعوداً لم يأخذ منها شيئاً أبداً، وهو المعروف بإنفاقه الكثير على نسائه وعلمائه؟!

لقد صدم المسلمون على مختلف مذاهبهم وطوائفهم وعلمائهم ـ وحتى حكامهم ـ بمصادرة سعود لما في الحجرة النبوية، فطريقة السرقة (الاستيلاء) كانت وقحة وبالقوة والعنف، رغم أن المسوغات الفكرية الوهابية تجيز الاستيلاء.. ولكن الطريقة العنيفة أوحت لجموع المسلمين أن هذا إعتداء على تركة قبر الرسول من أجل الاستيلاء عليه وليس من أجل هدف ديني أو بمسوغ شرعي..

يقول كشك:

(الرأي العام صدمه الموقف، مهما كانت تبريراته، فهذا تراث حب المسلمين لنبيهم، وهذه حرمة القبر.. وحتى المتنور منهم لم يكن موقفه، ليفضل موقف سلطان المغرب الذي قال للسلطان العثماني الذي أراد ان ينفق على مقاتلة الروس، فاسترد بعض الجواهر التي تزين مصاحف عثمانية أهديت للمسجد النبوي، فقال السلطان المغربي: (إن هذا الفعل وإن لم يكن في نفسه ردية، الا أنه ما كان دأباً للملوك والأمراء.. خوفاً من القصور في الادب والاحترام).

فمع التسليم بأن أخذ المال لانفاقه لصالح المسلمين، ليس سيئاً في حد ذاته، إلا أنه يخشى أن يصبح عادة، فتمتد اليه يد الملوك والولاة بحجة الصالح العام..).

ويضيف كشك:

(وهذا التحرج.. يحتاج لقناعة بالفكر الوهابي، يمكن إزالته.. فالفكر الوهابي يرى أن القبر لا يعني رسول الله.. وأن الموتى لا ملكية لهم، وحرمتهم لا تمتد للماديات، كذلك تتأثر الحرمة والمكانة بثراء القبر أو فقره.. فوضع المال عند القبر تودداً لرسول الله، عمل مرفوض من الوهابيين، ومن ثم فلا تقصير في حق الرسول وحرمته.. ولكن الذين خارج الحركة الوهابية لم يكن من الممكن إقناعهم بهذه التفسيرات، فالعامة اعتبروها عدواناً على حرمة النبي، والمثقفون اختلفوا حولها باختلاف موقفهم من الحركة.. الذين مع السعوديين أيدوا العمل وأفتوا بمشروعيته ودافعوا عن الفعل (وإن كنا لا نعرف كاتباً أو عالماً من رجال الدين ـ غير الجبرتي ـ أثبت هذا الموقف في حينه).١٣.

وحين انتقد الدكتور العجلاني ـ الكاتب السلطوي الآخر ـ موقف سعود واستيلائه على الأموال دون اقناع الرأي العام وإبعاد الشبهة عن نفسه.. حيث قال: (كان ينبغي له أن يمهّد لعمله بشرح مقاصده للرأي العام)، (ثم كان عليه أن يبعد نفسه عن الشبهات بتسليم الكنوز الى رجال أمناء يتولون بيعها وصرف أثمانها في المصالح العامة، وبذلك يدرك كل انسان خلوص نيته)، علق كشك على ما قاله العجلاني بالسخرية والاستهزاء دون أن يوضح القضية من الناحية العلمية.. يقول:

(ولو كان الجبرتي حياً، واضطر لاثبات هذا النص لأتبعه بعبارة من عباراته التقليدية من طراز (وغير ذلك من بارد القول) او (غيره من الخور).

ويضيف بتهكم:

(كيف كان بوسع سعود أن يمهد الرأي العام لهذا العمل؟!.. وأي رأي عام..؟ هل كان سيكسب الرأي العام التركي إذا قال إنه لم يأخذ هذه الكنوز الا ليبيعها وينفق ثمنها في محاربتهم؟!.. أم سيكسب ليبيعها وينفق ثمنها في محاربتهم؟!.١٤. أم سيكسب الرأي العام المعادي لحركته أصلاً اذا ما قال لهم أنه إنما يريد التقوي عليهم لاجبارهم على الدخول في طاعته؟!)١٥ فهل هذا رد علمي؟..واين العلمية في ذلك؟!

إن المؤلف يرد على العجلاني بأن ما قاله عن (الصالح العام وضرورة التوعية ـ أو ما أسماه ـ بتشكيل لجنة مصادرات تتولى الانفاق على الصالح العام هو مجردة ثرثرة تافهة!) وأدلته في ذلك أنه لا يمكن اقناع الرأي العام بأن ما أخذه من أجل الصالح العام.. واعتمد في أدلته على الرأي العام التركي في البداية، ثم على الرأي العام الاسلامي، الذي أكّد كشك أنه معارض للدعوة الوهابية.. والطريقة التي عرضها بها الموضوع سقيمة..

أليس من السذاجة حقاً ان تطلب من الرأي العام التركي أن يوافق على نهب المال من الحجرة النبوية بأن تقول لهم أنه أخذها من أجل بيعها ومحاربتكم، بينما نحن نناقض قضية قبول الرأي العام وإنفاقها على الصالح العام، وبالذات على أهالي المدينة.. وكشك ذاته كان يدافع عن أخذ المال من هذه الوجهة والصالح العام وفقراء المدينة) وليس للحرب مع الأتراك!

ثم إذا كان أخذ المال للتقوي على الرأي العام الاسلامي الذي نحن بصدد طلب وده وإقناعه، فتلك تكون مهزلة.. فكيف يريد سعود إقناعهم بأن يقول لهم: إنني أخذت المال من الحجرة لأتقوى عليكم وأجبركم في الدخول في الطاعة؟!

إن هذا يذكرنا بما قاله الحاكم الأموي: ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا.. وإنما لأتأمركم عليكم.. فالقضية هنا قضية زعامة وحب سيطرة وتملك، وليس إقناع رأي عام بأخذ مال لإنفاقه؟!

وحول مصير المجورهات وهل أنفقت في الصالح العام؟.. يتهرب كشك عن القضية فيقول:

(القضية لم تكن يوماً ما هي مصير المجوهرات، وكم بقي منها، وكم سلم لمحمد علي.. فهذه مهمة لجنة جرد وليست مهمة مؤرخين، ولا بالتي تشغل بال المفكرين المسلمين.. القضية هي: هل يجوز لحاكم مسلم أن يقتحم (الغرفة النبوية) ـ كما تسمى ـ ويأخذ أو يصادر ما وهبه المسلمون لرسول الله أو ما وضعوه تحت حرمة المكان؟!

وهذه هي القضية.. فلماذا نقفز فوقها بالهتاف بأن المفقودات قد ردّت؟! القضية قضية مبدأ)١٦.

وهنا نلاحظ أن هناك تهرباً من المؤلف حول مصير المجوهرات، لأن ذلك بيت القصيد، فالقضية هي ليست في كون العمل جائز فحسب، بل تكمن أيضاً في الشخص الذي يحق له أن يقوم بالاستيلاء وفي أين يصرفه..

منع الحجيج

إن من أكبر القضايا التي أثارت أهالي نجد والمناطق التي تحت إشراف آل سعود على أراف الحجاز هي منعهم من أداء فريضة الحج، وقد كان من جملة مبررات سعود لدخول مكة واحتلالها هو أداؤه لفريضة الحج التي يمنعه الشريف غالب من أدائها..

وحين سيطر سعود على مكة، وبعد عام تقريباً.. فعل الشيء ذاته، فمنع جميع حجاج المسلمين من أداء الفرض، ووضع بعض المبررات فكانت في مجملها لا تعبر عن طبيعة الاهداف التي قصدها سعود..

الجدير بالذكر انه في السنة التي احتلّت فيها مكة، أي عام ١٢٢٠هـ انقطع الحج العراقي، وبعد عام (١٢٢١هـ) انقطع الحج الشامي، وذكر الجبرتي أنه بعد عام آخر (١٢٢٢هـ) انقطع الحج المصري.

أما سبب المنع فقد كان سياسياً، ولكن سعود أراد أن يعطي قرار منعه للحج بعداً دينياً، فكانت مسألة المحمل المصري والشامي، قضية مفتعلة لحجب الاهداف السياسية والعسكرية..

ويقول السعوديون أنه بعد استيلائهم على الحجاز ظهرت على الشريف غالب إمارات التشكيك وعدم الولاء، منها تحصين (جدّة) بالبناء واحاطتها بخندق ومنعه النجديين من دخولها، ومنها أيضاً إبقاء بعض الجنود الترك والمغاربة في الحجاز!! لذا (أرادت الدرعية ان تضعه أمام الأمر الواقع فصدرت أوامرها ١٢٢١هـ ـ ١٨٠٦م بمنع محامل الحج التي تأتي من جهة الشام واستانبول ومصر والعراق. ورجع عبد الله باشا العظم بالمحمل بعد أن وصل الى حدود المدينة المنورة.. وحج الأمير سعود في نفس العام وأمر بإخراج من كان في مكة من الجنود الأتراك، وكان في هذا العمل تحد من جانب آل سعود للدولة العثمانية التي كانت لها السيادة على الحرمين.

وسار سعود الى المدينة المنورة وطرد منها من يخشى منهم على نفوذ الدرعية، ورتّب فيها حامية سعودية. وقام بطرد القاضيين التركيين من مكة والمدينة وأعلن إنكار وجود أية سلطة روحية للخليفة العثماني على الحرمين).١٧. أي أن سعود أراد تأكيد سيطرته الروحية والسياسية على أرض الحجاز، وكان طرد الأتراك ومنع الحجاج ليس بسبب المحمل وإنما لظروف سياسية ومصلحية..

وفضلاً عن ذلك فإن من غير المعقول أن يصبر المسلمون سنيناً لا يؤدون الفريضة بسبب المحمل.. إذ لو كان بسببه لتركوه وحجّوا، فهل رفض جميع المسلمين أداء فريضة الحج مادام المحمل غير موجود؟!

ويقول آل سعود ومؤيدوهم انهم سمحوا لكثير من الحجاج بأداء الفريضة بدون اللحاق بمحمل ما.. ولكن الحقيقة أن قبولهم لهؤلاء بالحج كان لأهداف سياسية أيضاً وخصوصاً حجاج الشام والمغرب.. (إذ سمح لهم سعود بأداء الحج لإيجاد عناصر مؤيدة له.. (ازداد النفوذ السعودي في بلاد الشام وأصبح لهم دعاة داخل بعض القرى والمدن هناك، وتسربوا عن طريق مرافقتهم لبعض حجاج الشام الذين تمكنوا من أداء الفريضة برضا آل سعود، الذين كانوا دائماً يحاولون إيجاد عناصر موالية لهم داخل الجبهات التي يتعرضون لغزوها)١٨.

وهذا ما حدث بالفعل.. (إذ شنّ سعود حملات متتالية وسريعة عام ١٢٢٥هـ على الشام وباديتها، ونهب الكثير من الأموال.. وأحرق الزروع.. ورجع دون أن يتمكن من السيطرة عليها.

مع هذا لم نسمع أن أحداً من المؤرخين يذكر أن حجاج أفريقيا أو (أندونيسيا) والمناطق الاسلامية البعيدة وما حولها أدّوا فرائضهم.. هؤلاء الذين لم يذكر التاريخ أنهم يأتون بمحمل.. فلماذا لم يحجوا في السنوات العجاف التي منعهم فيها سعود؟! ألا يدل على ان المسألة سياسية ومصلحية بعيدة عن الدين؟!

وحول نتائج استيلاء سعود على الحجاز، يذكر الاستاذ عبد الرحيم عبد الرحمن انقطاع قوافل الحج بسبب مظاهر تخالف الدين، ولكنه غلب خوف آل سعود من الحجاج الذين تصحبهم قوة عسكرية للحماية:

(انقطع وصول قوافل الحج من مصر والشام والعراق واستانبول، لأن السعوديين كانوا يرون فيما يصحب هذه القوافل من المظاهر، ما يخالف قواعد الدين، ولا يتفق مع مبادىء الدعوة السلفية، بالاضافة الى أن هذه المحامل كان يصحبها قوة عسكرية خشي منها آل سعود، ولذلك لم يسمح السعوديون لهذه القوافل بأن تصل الى الأماكن المقدسة.. مما كلف أهل الحجاز كثيراً من الخسائر المادية، علاوة على انقطاع المساعدات التي كانت تصل اليهم من الأوقاف في الولايات العثمانية.

وليس من شك في أنه كان لهذا التصرف الذي قام به السعوديون إزاء قوافل الحج الاسلامية أثر سيء في العالم الاسلامي الذي أزعجه استيلاء السعوديون على الحرمين الشريفين)١٩.

وإذا ما أردنا التعليق على ما ذكره الاستاذ.. فإننا سنقول أن سعوداً لا يخشى عشرات من جنود الأتراك المرافقين للحجاج لحمايتهم من سطو اللصوص.. ثم إذا كان المحمل وما يتبعه من بضع أفراد يدقون الطبل يعتبر عملهم مخالفاً للدين..

فإن ذلك ليس بمبرر لمنع مئات الألوف من الحجاج، كما أنه ليس حلاً، إذ ان المطلوب توعية الحجاج، ومنع المحمل وحامليه والضاربي الطبل فقط عن أداء الفريضة، أما الباقون فلا عذر لمن منعهم من أداء ذلك.

أما جلال كشك الذي اعتاد على وضع التبريرات لكل أعمال آل سعود السيئة.. فإنه يقول حول المنع الآتي:

(وقد بدأ سعود في مكة البداية الطبيعية، بقبول دخول الجميع في دين الله أفواجاً، وفتح صفحة جديدة لهم، ولكنه أدرك تآمر الشريف وعدم اخلاصه، فخاف كما قال ابن بشر ان يتقوى الشريف بالحج الشامي٢٠، ويدبّر أمراً.. فبادر بمنع هذا الدخول كضرورة أمنية، وأيضاً لما كان يصاحب هذا الحج من مظاهر تستفز مشاعر جنوده..).. والسؤال يبقى: هل أن الضرورة الأمنية تستدعي منع كل المسلمين من الحج؟!

(ومع منع الحج الشامي.. أخذ سعود احتياطاً آخر ـ لاحظ نوعية المفردات المستعملة ـ بإخراج الاتراك من مكة، قال ابن بشر: (أخرج من كان في قصور مكة من عساكر الروم).. وقد رأينا في ما كتبه علي بك دومينغو، أنهم كانوا مسلّحين ومحصّنين، وإذا كان الدخول السعودي فاجأهم وأرهبهم، فلا يستبعد أن يتشجعوا إذا ما رأوا أمير الحج الشامي وجنوده.

وفي مثل هذا الجو كان من الطبيعي أن يغادر مكة، الأجانب الذين لا مصلحة لهم في الحرب المنتظرة، ليتجنبوا الحصار المعتاد حيث لا طعام إلا ـ النار والفار ـ.. حيث وإن ساء جلاؤهم الريحاني بعد قرن وربع.. فسجّله في قائمة أخطاء سعود الكبيرة)٢١!

ان طريقة الاستيلاء على الذخائر النبوية والاعتداء على تراث المصطفى أحدثت صدمة لدى المسلمين بسبب وقاحتها

بعد هذا يضع كشك عدة تبريرات غير تلك التي ذكرها ضمن الحديث فيقول أن:

(الحج توقف بمزيج من الاجراءات السعودية والعثمانية، وإن كان المنصف لا يحمل السعوديين وحدهم مسؤولية هذا المنع، الا أنهم لم يبذلوا جهداً كافياً لتحطيم هذا الحصار الخطير).٢٢.

وفي موقع آخر يقول:

(إن الوهابيين لم يكونوا هم البادئين بمنع الحج بل العكس هو الصحيح، فإن شريف مكة هو الذي منع أهالي نجد من دخول مكة لأداء فريضة الحج سنة ١٧٨٤.).٢٣. فهل هذا مسوغ شرعي لأن يقوم سعود بفعل المثل؟!

وهذا كاتب آخر ينحى بالقضية منحى قومياً دنيئاً، يقول أحمد عسّة: (ولما كان من بين الأهداف الأصلية للدولة السعودية الأولى إقامة دولة عربية ـ اسلامية مستقلة ذات سيادة، لتكون بمثابة النواة لتحرير البلدان العربية من الحكم العثماني، فقد أصدر الأمير سعود تعليماته بإبطال الدعاء للسلطان العثماني في خطب الجمعة، كما

أمر بإخراج الأتراك وموظفي الدولة العثمانية، وأقام حاميات عربية (كذا)..).٢٤.

آثار منع الحجاج

يمكننا القول ـ وبكل ثقة ـ أن قرار سعود بمنع المسلمين من أداء فريضة الحج أجهز على البقية الباقية من سمعة الدعوة الوهابية وأتباعها كما ترتب على قرار الحجاز، في الوقت الذي كان فيه الرأي العام يضغط لتخليص الحرمين ليؤدوا الفريضة المباركة.. لذا حين تحركت القوات المصرية نحو مقارعة السعوديين حصلت على مباركة من الرأي العام الاسلامي، وموافقة من قبل أهالي الحجاز وقبائله المتضررين من قرار المنع.. وهذا التوافق أدى الى إسقاط الدولة السعودية الأولى بمباركة المسلمين خارجاً وسكان الحرمين داخلاً.

وعلى هذا أيضاً لا عجب أن أسباب سقوط الدولة السعودية هو منع الحجيج..

يقول كشك: (كان من المستحيل أن يستمر هذا الوضع، فمن ناحية، أهل الحجاز.. او الجزيرة كلها يعيشون على موسم الحج وإيراداته، نهباً (كذا) أو ما يقدمه الحجاج من صدقات وينفقونه خلال إقامتهم، وجيش سعود المواظب على الحج، ليس معه نقود ولذلك يدفع الجند رصاصاً بدلاً من الدراهم صدقة لخدم زمزم).٢٥.

وينقل أيضاً عن الجبرتي قوله:

(وإنما امتنعت قوافل الحج المصري والشامي وانقطع عن اهل المدينة ومكة ما كان يصل اليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي كانوا يتعيشون منها، خرجوا من أوطانهم بأولادهم، ونسائهم، ولم يمكث الا الذي ليس له إيراد من ذلك وأتوا الى مصر والشام ومنهم من ذهب الى اسلامبول يتشكون من الوهابي ـ يقصد سعود ـ ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين، لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها، من إجراء الأرزاق واتصال الصلات والنيابات والخدم في الوظائف التي بأسماء رجال الدولة كالفراشة والكناسة ونحو ذلك، ويذكرون ان الوهابي استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر، ونقلها وأخذها، فيرون أخذه لذلك من الكبائر العظام).٢٦.

من جانب آخر يعتقد كشك وغيره من المصادر الحكومية أن منع الحج كارثة على الدولة السعودية، أو لا أقل كان مبرراً جيداً لمهاجمة الدولة وإسقاطها.

جاء في تاريخ الثالث متوسط ما يلي:

(وقد استغل الاتراك منع الأمير سعود الكبير، للحجاج القادمين من بلاد الشام وتركيا وغيرهما من أداء فريضة الحج، لاتباعهم عادات وبدع وتقاليد لا يجيزها الشرع الاسلامي مثل: المحمل والطبل والزمر وغيره، كما استغلوا هدم السعوديين للقباب والمشاهد في مختلف انحاء الجزيرة العربية وخارجها، لاثارة عواطف المسلمين ضد الدعوة الاصلاحية والدولة السعودية..).٢٧. أما الدكتور بكري شيخ أمين فقد ذكر بوضوح أن من أسباب سقوط الدولة السعودية منع الحجاج.. ففي معرض حديثه عن أسباب سقوط الدولة قال:

(كذلك فإن منع المحمل الشامي الذي أدى الى حرمان أفواج الحجاج من الوصول الى الديار المقدّسة ليؤدوا الفريضة المكتوبة، أحنق سكان الحجاز من جهة، إذ منع عنهم وسيلة رزقهم الوحيدة، كما أثار أعداء الدعوة من جهة أخرى على عقيدة ابن عبد الوهاب وأتباعها)٢٨.

الخلاصة:

إن المعارضة للدعوة الوهابية والدولة السعودية ازدادت بقرار منع الحجاج من أداء الفرض، واستمر المنع عدة سنوات الى أن جاءت الحملة المصرية وانتزعت الحجاز ثم اسقطت الدولة السعودية الاولى، بفرحة تامة من المسلمين والقبائل الحجازية، وأهالي الحجاز الذين عانوا أشد الضرر من قرار المنع.

هوامش

١ – عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الاولى، ص ١١٧

٢ – المصدر السابق ص ١٢٢

٣ ـ المصدر السابق ص ١٢٣

٤ ـ المصدر السابق ص ١٢٩

٥ ـ المصدر السابق ١٣٠

٦ ـ المصدر السابق ص ١٣١

٧ ـ ابن بشر، تاريخ نجد، ص ١٢٢ ـ ١٢٣

٨ ـ المصدر السابق ص ١٢٦، وعبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الاولى، مصدر سابق ص ١٣٥

٩ ـ يذكر أهالي الحجاز نقلاً عن أجدادهم أن سعود لما دخل عند قبر الرسول رفسه برجله وقال: زعمت أن نجداً قرناً من قرون الشيطان..منها الفتنة واليها تعود.. قم فانظر إليها.. إنها بيضة الاسلام!!

١٠ لمع الشهاب ص ١٠٨ ـ ١٠٩/، وانظر عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الاولى، ص ١٣٦

١١ ـ جلال كشك، السعوديون والحل الاسلامي، ص ٢٢١

١٢ ـ المصدر السابق ص ١٨٧

١٣ ـ المصدر السابق ص ٢٢٢

١٤ ـ بالطبع لا يوافق، إذ ستصبح المسألة مسألة زعامة وليس إنفاق قيمة ذخائر من أجل أهالي المدينة الفقراء، أو ما ادعاه حول تغليب منفعة عامة على خاصة.. حيث سيكون تغليب الزعامة على المنفعة العامة.. اليس كذلك؟!

١٥ ـ كشك، السعوديون والحل الاسلامي، مصدر سابق ص ٢٢١، ٢٢٢

١٦ ـ المصدر السابق ص ٢٢١

١٧ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الاولى، مصدر سابق ص ١٣٦، وانظر ايضاً ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص ١٣٩ ـ ١٤٠

١٨ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق ص ٢٠٥

١٩ ـ المصدر السابق ص ١٣٩

٢٠ ـ ولهذا كان قرار منعه قبل قرار منع المحمل المصري بسنة.. ولكن ما العذر لمنع المحمل المصري والتركي والعراقي وجميع جاج المسلمين؟!

٢١ ـ جلال كشك، مصدر سابق ص ١٤١

٢٢ ـ المصدر السباق ص ١٤٢

٢٣ ـ المصدر السابق ص ١٦١

٢٤ ـ أحمد عسّة، معجزة فوق الرمال، ص ٢١، ٢٢

٢٥ ـ جلال كشك، مصدر سابق ص ١٤٣

٢٦ ـ المصدر السابق ص ١٧٥، ١٧٦

٢٧ ـ مادة التاريخ للصف الثالث المتوسط، ص ١٠١

٢٨ ـ د. بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص ٢١

من بينها ثورة أهالي الحجاز ومنع الوهابيين المسلمين من الحج

أسباب سقوط الدولة السعودية الأولى

لسنا هنا في موقع سرد تفاصيل استيلاء الحملة المصرية على الحجاز ثم مدن نجد وعسير، وأخيراً سقوط الدرعية، بل إننا سنحاول قدر الامكان بحث أسباب هذا السقوط السريع١. فقد ابتدأت حملة محمد علي باشا العسكرية في الوقت الذي كانت فيه الدولة السعودية في أوج عظمتها، حيث كانت تسيطر على معظم الجزيرة العربية.

ولم تمهل هذه الحملة آل سعود أن يتمتعوا بالعظمة والقوة.. فقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تتهدم أركان الدولة السعودية في أوج قوتها وجبروتها وتسلطها لتحيل منها عبرة لذوي البصائر والضمائر الحيّة.. فأنهى الدولة السعودية وهي في أوج قوتها وشبابها وبسرعة فائقة، وعلى يد ظالم فاسق هو محمد علي باشا.

وبغض النظر عن أهداف الحملة المصرية بالنسبة للعثمانيين أو حاكم مصر.. فإنهم إلتقوا عند قاسم مشترك هو: تحطيم الدولة السعودية وانتزاع الحرمين الشريفين من يد آل سعود، ويؤيدهم في ذلك جمهور غفير من المسلمين، الذين آلمهم منعهم من أداء فريضة الحج، وكذلك يؤيدهم أهالي الحجاز، وجمهور كبير من المواطنين الذين ذاقوا مرارة السيف والحيف.

ومما لاشك فيه أن الرأي العام الاسلامي كان مهيئاً لمثل هذه الحملة العسكرية، هذا إن لم نقل أنه كان سبباً مباشراً في تجريدها، نظراً لضغوطه على حكامه وعلى زعماء الدولة العثمانية.

صحيح أن الرأي العام تأثر بالدعايات التي يطلقها أعداء الدولة السعودية والدعوة الوهابية على السواء.. ولكن الصحيح أيضاً أن أخطاء السعوديين كانت كثيرة وكبيرة للحد الذي لا يمكن التغاضي عنها أو نزع فتيل العداء من قلوب الناس بسببها.

وفي هذا السبيل لم يتردد محمد علي في المبالغة فيما يرتكبه الوهابيون من أعمال تدنيس للأماكن المقدّسة لاستثارة غضب الأتقياء واستدرار جيوب الاغنياء، حتى أشاع أن سعوداً كتب على الكعبة، لا اله الا الله، وأن سعوداً ظل الله في أرضه٢.

ولهذا فلا نعجب حين نسمع بأنه:(صحب الحملة بعض شيوخ الأزهر، ومنهم من كلفه محمد علي بتفنيد آراء الوهابيين كنوع من حرب الدعاية في وقتنا الحاضر، ومنهم من تطوّع من تلقاء نفسه لما سمعه عن مناهضة الوهابية للطرق الصوفية)٣.

(وفي نفس الوقت تعددت رسائل محمد علي الى الباب العالي مستحثّاً إياه على مزيد من المساعدات المالية، ويلاحظ تشبّع هذه الرسائل بالروح الدينية كوصف جنوده بالمسلمين، وفي حين يسمي خصومه بالخوارج ويذكر أهمية استرجاع الأماكن المقدّسة)٤.

ومما يؤكد وقوف الرأي العام ضد الدولة السعودية، هو أنه حينما (أبلغت الولايات العثمانية من أقصى الدولة الى أقصاها باسترجاع الحرمين الشريفين، استعدت قوافل الحج لكي تجد طريقها من جديد الى مكة والمدينة، في مظاهر أبّهة مضاعفة.. إحتفاء بهذا النصر، وعلا شأن محمد علي معنوياً في جميع أنحاء الدولة، كما منح ابنه طوسون باشوية جدّة، وفي الآستانة أقيمت فيها الاحتفالات بمناسبة تسلّم السلطان مفاتيح الحرمين.. ولم يعد لقبه خادم الحرمين الشريفين مجرد لقب، مما أحرج مركز الخلافة لعدة سنوات لهذا كله صار من المتوقع أن يشعر كبار رجال الدولة بالحقد والحسد نحو محمد علي)٥.

أسباب السقوط

تضاربت آراء الكتاب والمؤرخين حول سر سقوط الدولة السعودية، فبعضهم قال إنها لم تكن تمتلك التكنولوجيا والأسلحة الحديثة، والبعض الآخر يقول ومن بينهم حافظ وهبة :(أن السبب الأول لسقوط الدولة السعودية ـ الأولى ـ أنها كانت مستندة الى القوة العسكرية أكثر من استنادها على القلوب والدعوة الدينية لم تتمكن بعد من قلوب الناس).

أما ابن بشر فيرجع الأمر الى قضاء الله وقدره بسبب الذنوب، ولكن كشك يرفض قول ابن بشر ويخلص الى نتيجة هي أن: (القيادة لم تنحرف.. فلماذا انهزمت؟).

كما يرفض كشك قول وهبة، وقول جون فيلبي اللذين يعتقدان أن الدولة السعودية توسعت فوق طاقتها، ويقدّم كشك تحليلاً لسبب السقوط يتلخص في الانغلاق داخل إطار الجزيرة العربية، وعدم القيام بنشر الوهابية الى الدول المجاورة، لاعتقاده أن نظرية (الثورة في بلد واحد) لا تصلح للتطبيق، وعليه لا بد من تصدير الثورة إذا ما أريد لها أن تعيش.. وحسب تعبيره:

(لابد أن تقذف بجنينها الى الخارج فتصدر العقيدة والرجال الى البيئات التي تملك الموارد الطبيعية والقاعدة الحضارية القادرة على الدفاع عنها والتطور بها والانتشار).

وهو في هذا ينتقد موقف سعود الكبير الذي منع الحج وانغلق في اطار الجزيرة: (لقد مرّ ما يقرب من عشر سنوات والسلطة السعودية تحكم الجزيرة، دون أن تنطلق الموجة خارج الحدود.. كان لابد أن تنطلق الى الأمصار..الى الشام أو بغداد أو مصر، أو كلها معاً.. ولأنها لم تفعل، أصبحت كالجنين الذي تأخرت ولادته فتضخم واختنق في الرحمن أو تفجر معه الرحم)٦.

ولاشك أن ما قاله كشك صحيح بقدر ما.. لكن الاشكالية هنا أن سعود حاول احتلال الشام مرات عديدة وفشل، وكذلك بالنسبة للعراق. والواقع أن ما قاله كشك يدخل في إطار التبرير النظري.. مع أنه صرف النظر عن آراء اخرى عديدة في هذا الصدد.

ونعود فنقرّ هنا ما ذكرناه سابقاً من أن الدعوة الوهابية إعتمدت في توسعها على جانب كبير من القوة والعنف والارهاب، تجاه الناس الذين جاءت اليهم بدعوى إنقاذهم من الشرك.. فنفروا منها:

أضف الى ذلك النزعة العنيفة التي ترافق الانتصارات، حيث يترك القادة السعوديون والتابعون لهم الحبل على الغارب، فلا يسيطرون على قواتهم المنتصرة، وإنما يفسحوا لهم المجال لتدمر كل شيء. وتستولي على كل شيء، وتعتدي على النساء، وتقتل من تريد وكيف تريد.. والقادة يعتقدون أن ذلك أفضل لنشر الرعب في المناطق غير المحتلة فيسهل احتلالها.. وهذا الاسلوب استخدمه آل سعود كثيراً، خصوصاً في الدور السعودي الثالث، أي في عهد الملك عبد العزيز..

ولعل ما ذكره ابن بشر يطابق الحقيقة تماماً، فقد ذكر في صفات سعود أنه نصر بالرعب، لقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (نصرت بالرعب مسيرة سنة).. ولكن أي رعب؟

لقد كان الرعب من الله سبحانه وتعالى قذف به في قلوب أعداء الرسول

ودينه: (فقذف في قلوبهم الرعب..) الآية، ولم يكن نتيجة تعديات وإرهاب وسفك دماء، كما فعل سعود.
من جانب آخر.. كان للنزعة المادية والسلطوية التي أفسح لها السعوديون الطريق دور في تخفيض درجة التعلق بالدين والسياسة.. فقد رأينا أن كثيراً من الأموال المنهوبة توزع باسم (الغنائم) بعد المعارك، وكان سعود يجزل العطاء لجيشه، مما أثر على موقفهم، أثناء المحنة والابتلاء، كما أن دخول كثير من الأمراء والأشراف في طاعة آل سعود، ووضعهم شروطاً مسبقة تقضي بأن يتولوا الإمارة أو ما أشبه، ثم قبول الحكام السعوديين بذلك، تدلل على أن حب السلطة والجاه وما تبعها من أعمال، إنما كانت المحرك لكثير من الأنفس، التي لم تكن تؤمن بالعقيدة الوهابية، وكان ولاؤهم للدرعية بقدر ما يحقق لهم من مصالح لا أكثر.. وهؤلاء الناس تراجعوا أيضاً في الطريق وانضم بعض منهم الى محمد علي.
اضافة للقبائل والقرى والمدن التي خضعت بالقوة دون أن يقتنعوا بصوابية الأفكار الوهابية.
وعلى هذا يمكننا القول وبكل جرأة، أن ما قاله حافظ وهبة مستشار الملك عبد العزيز صحيح، مع العلم بانه لا يدعى أن الاستناد الى القوة العسكرية دون القلوب هي كل الاسباب وانما أهمها.
أما ما قاله الدكتور صلاح العقاد، حول أهم أسباب انهيار الدولة السعودية، وهو إعطاء السلطة لزعماء محليين، خصوصاً في المناطق البعيدة عن نجد، فلا يبدو صحيحاً تماماً، الا اذا وضعنا في اعتبارنا أن هؤلاء الزعماء دخلوا في الطاعة من أجل السلامة أو التسلط أو التوسع.. والخطأ لا يكمن في تولية هؤلاء الزعماء، بقدر ما يكمن في توجيههم نحو الدنيا والانشداد اليها، وهو الأمر الذي غالباً ما يفعله سعود مما أفسد ضمائر الكثيرين.
يقول العقاد:
(ويعزو كثير من الكتّاب سرعة انهيار الدولة الى وفاة سعود، وفي رأينا أن عوامل الضعف كانت موجودة من قبل، وقد ألمحنا الى أخطرها، وهي التي تتمثل في ترك السلطة بيد زعماء محليين في المواقع البعيدة عن نجد.. كما أن الدولة السعودية الأولى أغلقت على نفسها الأبواب ومنعت الاتصال بالعالم الخارجي، فلم تستفد - على عكس محمد علي - من ثمرات التقدم الحضاري. وكان من سوء حظ عبد الله بن سعود تحمل نتائج أخطاء أسلافه)٧.
واذا كان هذا رأي العقاد، فإننا نعتقد بأن أهم سبب في الهزيمة والنكسة يرجع الى إبتعاد المسؤولين عن الدين، وهو ماذكره ابن بشر - ولكن بخجل - حيث أشار الى الذنوب.. ولكن كشك لايعر اهتماماً كبيراً للتعدي على الشرع وتخطي أوامر الله، فيذكر كلام ابن بشر بما يشبه السخرية والاستهزاء.. وإذا كان ابن بشر لم يذكر مساوىء أي حاكم من آل سعود - نظراً لموقفه المؤيد منهم وبلا حدود - فإنه يدرك كم من التعديات على حرم الله وحدوده من قبل آل سعود.

الصراع على الملك

ويقدّم كشك سبباً آخر للهزيمة هو الخلاف على الملك والسلطة في دولة آل سعود.. حيث يرى أن مزاحمة إخوان عبد الله بن سعود وأعمامه له كان سبباً لإضعافه.. ثم يفسّر تهافت عبد الله على الصلح مع طوسون بأنه من أجل ترتيب البيت السعودي من الداخل، وهو مبرر لطيف وظريف لضعف الحكم، فمع اعتقادنا بأن الخلافات ديدن الأمراء السعوديين، الا أن ذلك لم يبرز كثيراً بعد وفاة سعود، للحد الذي يؤثر في مجريات المعارك مع القوات الغازية.. وإنما أراد الكاتب أن يفلسف الهزيمة، وطلب عبد الله الصلح، بأسلوب مهذّب وبحجة ترتيب البيت السعودي من الداخل!!
يقول كشك:
كان في مقدمة الأسباب الذاتية ضعف القيادة في البيت السعودي بعد (سعود) الكبير، فمن المعروف في تاريخ الملكيات - بإستثناء حالات نادرة - أن طول عمر الجالس على العرش، وامتداد سنوات حكمه، من أهم عوامل استقرار البيت المالك، وتدعيم نفوذه، وازدهار الدولة، وتسهيل عملية انتقال السطة. إذ يتمكن الملك من تصفية القوى المعارضة والتي قد تشكل٨ مزاحمة لولي العهد٩ وعندما تولى (سعود) الامارة، كانت السلطة تنتقل طبيعياً وسلمياً للمرة الثانية فقط خلال ٧٨ سنة!، مما أتاح لكل منهما تصفية مزاحم الأعمام، وكبح جماح الاشقاء، والبيت المالك يقوى كلما ضبطت الطموحات١٠ بين أفراده.. وحددت المواقع.. وسد الطريق على المزاحمات المدمّرة١١ وذلك بتحديد واضح وصريح: من هو الملك القادم؟!
ويضيف:
(وبالاضافة الى طول عهد محمد وعبد العزيز، كانت انتصاراتهما وانتشار الدعوة تفرض الهيبة للإمارة، وتضفي هذه الهيبة على من يختاره الأمير لولاية العهد.
ولكن سعوداً لم يعمر في السلطة كرئيس دولة.. وإن كان قد مارسها طويلاً تحت مظلة أبيه.. ولذا لم يستطع أن يمكن لإبنه أو أن يصفي له مزاحميه، بل على العكس تمرد على سعود نفسه بعض أولاده، مما كان السبب في هزيمة السعوديين بمسقط، كذلك مات سعود والشك يلوح حول سلامة الوطن وسلامة الملك وصوابية السياسة، فلما تتابعت الهزائم، كان من الطبيعي (كذا!) أن يظهر الاطباء وأدعياء الطب، المنقذون والمغامرون، وهكذا وجد عبد الله مزاحمة من أخيه وعمه، وضربت جرثومة الشقاق العربية في الدوحة السعودية، وستظل تتفاقم حتى يتحول البيت السعودي الى مجموعة لاجئين في نهاية القرن التاسع عشر).
ويكمل كشك:
وقال مؤلف مثير الوجد في أنساب ملوك نجد: (أن عبد الله بن سعود سار على سيرة والده، الاّ أن اخوته كانوا لا يوافقون على إرادته، وكان لا يخالفهم ونازعه اخوه فيصل بن سعود، فكان عبد الله يأمر وفيصل يأمر، فتفرقت شوكتهم ونفر منهم فئات من العرب، واتسع الخرق في قوتهم)١٢.
لا أحد ينكر أن الاختلافات كانت موجودة، ولكننا نرفض هذا التطويل في التحليل البارد الذي لا يستند على أية حقيقة علمية، كما نرفض ما رتب عليه من قول أن بعض المصادر الاجنبية تؤكد على أن عبد الله بن سعود كان يخشى أن يضرب من الخلف أو من بيت أبيه، ولذلك بادر الى الصلح مع طوسون.. فمن الواضح أن الهزائم التي مني بها عبد الله أجبرته على ذلك.. ثم يقول كشك أيضاً بأن سبب فشل الصلح هو عدم ترتيب البيت الداخلي الذي رفض بعضهم الصلح.. مع أن كل الحقائق تؤكد على أن محمد علي باشا رفض ذلك، وطلب تنازلات أكثر!!
لقد رأينا أن الانسان المسحوق، أو ذلك الأمير الخاضع بالقوة، أو تلك المدينة أو القرية التي سبيت نساؤها وقتل رجالها، أن أفضل وسيلة للتخلص مما هم فيه هو: موالاة القوات المصرية الغازية ضد القوات السعودية التي أذاقتهم الويل، فتلك فرصة للإنتقام!
ومن المؤكد جداً أن محمد علي باشا ما كان ليستطيع أن يسقط دولة آل سعود لولا معاونة الكثيرين له من أهالي الحجاز، ونجد وكثير من القبائل، حتى تلك التي يدعي آل سعود أنهم ينتمون إليها في نسبهم.. وتعني بها قبيلة (عنزة) التي وقفت مع محمد علي باشا..فقد كان لهؤلاء جميعاً الأثر الحاسم في المعركة، ولولا هم لكانت كفة السعوديين راجحة بكل تأكيد.. لا لأن القوات السعودية تمتلك أسلحة حديثة، ولكن لأنها تمتلك قوات منضبطة وفي غالبيتها متشبّعة بفنون قتال الصحراء التي اعتادوها منذ زمن.

الارهاب أسقط الدولة

يقول الاستاذ عبد الرحيم عبد الرحمن في معرض حديثه عن تقييم نظام الحكم والادارة في الدولة لاسعودية الاولى:

(وربما قيل أن هذه النظم نجحت في إقامة الأمن في جميع أرجاء البلاد التي أصبحت تابعة لآل سعود، وأن الكل أصبح يعيش في أمن وطمأنينة.. دون الخوف على ماله ومتاعه، والحقيقة أن ذلك حدث بفعل عامل الشدة الذي كان متّبعاً، والخوف من العقاب الجسماني والمادي، لا عن قابلية ورضا، ومما يؤيد هذا الرأي أن معظم القبائل والبلدان والنواحي التي كانت تابعة لآل سعود، ما كانت تجد القوة التي تخلصها من هذه النظم ممثلة في قوات محمد علي حتى سارعت الى الانفضاض عنها والانضمام الى جانب الجيوش المصرية).. ويضيف (ولربما قيل أن خروج الكثير من القبائل عن جانب آل سعود كان بسبب ما قدمه لها جواسيس محمد علي وقواده من الرشاوي والهدايا، ولكننا نرى أن في هذا العمل نفسه ما يدلل على عدم الايمان القوى بالنظم السعودية، لأنه لو وجد الايمان لما حدث ذلك، لو حدث لكان على نطاق ضيق كما يحدث في كل الأمم والشعوب)١٣. كما (أن أسلوب المصادرات الذي كان يوقع على الافراد والقبائل، كان أحد الأسباب التي ملأت النفوس بالثورة الخافتة ضد الدولة وسلطانها)١٤، حيث تفجرت على شكل ولاء ودعم مباشرين للقوات المصرية الغازية.

وتعتقد الدكتورة مديحة درويش، أن من أسباب سقوط الدولة السعودية: (النزعة القبلية التي جعلت الكثير من القبائل التي كانت خاضعة لنفوذ آل سعود، تسعى دائماً للخروج عن طاعتها، ليس هذا في إقليم الحجاز والأحساء فحسب، بل شملت إقليم نجد كذلك..)١٥.

وقد كان ابن بشر صادقاً تماماً حين قال بعد موقعة الغبيراء: (خرج اليه - ابراهيم باشا - أناس من البلد واخبروه بعورتهم ومعاديهم، وكان أكثر ما شدّ ظهور الترك في نجد في البلدان.. وأسكن جأشهم وقوّاهم على أهلها، أناس تبعوه من أهل نحج، ومن رؤساء البوادي)١٦.

بداية الحملة

واذا أردنا توضيح الانفصال بين آل سعود من جهة، وبين القبائل والأمراء والمدن والناس من جهة أخرى، فإننا.. ومن خلال إشارتنا لتحرك القوات المصرية، سنجد أنه لا يكاد يخلو انتصار لمحمد علي باشا وقواته، الا وكان للسكان المحليين دور بارز في ذلك.

لقد كانت الحملة المصرية بقيادة طوسون باشا ابن محمد علي.. تهدف في بادىء الأمر الى الاستيلاء على ينبع.. الميناء البحري المعروف، وتتخذه نقطة انطلاق لاحتلال المناطق الأخرى.

ويؤكد المؤرخون أنه بتوطوء الشريف غالب، تيسر نزول الحملة الى البر١٧ وذلك في عام ١٢٢٦هـ، وعندما وصلت قوات الحملة الى مرفأي ينبع والمويلح، استوصلت عليهما دون كبير عناء، ويجب أن لا نغفل أن سوء الاحوال الاقتصادية التي ألمت بسكان الثغور الحجازية والقبائل القاطنة على طريق الحج على أثر انقطاع المحامل.. كانت من أبرز العوامل التي سهلت للقوات المصرية طريق تقدمها، فقد تمكنت قوات المشاة لدى نزولها ميناء ينبع من إغراء بعض القبائل القاطنة وإهدائهم الطرف والاموال والخلع واستغلال هذه القبائل في توصيل الرسائل الى مشايخ القبائل الأخرى بقصد استمالتهم الى جانب قوات الحملة، وانفضاضهم عن جانب آل سعود، وقد نجح هذا الاسلوب كثيراً في استعماله مع القبائل.

تمكنت القوات المصرية بمساعدة القبائل التي انضمت إليها من انزال هزيمة قاسية بأول فرقة سعودية تلتقي بها تحت قيادة (جابر جبارة ومسعود ابن مضيان) اللذين أسرعا بالانضمام الى جانب الجيش السعودي الرئيسي، المعد لملاقاة قوات الحملة، وأخذ طوسون بعد ذلك يضع الخطط، ويقوم بعمليات التجهيز اللازمة للزحف نحو المدينة المنورة، وكانت خطة طوسون أساساً تقوم على استمالة أكبر عدد من القبائل العربية القاطنة على الطريق الى المدينة، ووجد طوسون في (نصر الشديد) رئيس قبائل الحويطات وعربه، أداة سهلة في القيام بهذه المهمة بتقديم الهدايا والخلع لمشايخ العربان عن طريقهم، بالاضافة الى قيامهم بعمليات الاستكشاف له في هذه المرحلة، وقد ذكر محمد علي ان القبائل التي استطاع ابنه طوسون أن يستميلها عن طريق عملية (نصر الشديد) وعربانه هي: الحويطات، العبابدة، بلي، الطربيني، الخمايسة، الصوالحة، العليقات، مزينة، تبه، الكواملة، لحون، عمران، علوين، عميرات، الدقيقات، بني عقبة، بني واحل، جهينة). وكلها من القبائل القاطنة بالقرب من المدينة أو على الطريق اليها، وعن طريق مساعدة هذه القبائل.. لم تلق قوات طوسون صعوبة كبيرة في طريق زحفها نحو المدينة في بادىء الأمر، وتمكنت بسهولة من الاستيلاء على قريتي (السويقة، وبدر) بعد اشتباك بسيط مع الفرق السعودية التي كانت في كل منهما)١٨.

ومع أن الشريف غالب كان يتطلع الى ازالة الدولة السعودية، رغم أنه لم يكن يظهر العداء السافر للسعوديين، كما لم يحدد موقفه من الحملة، وقد اتخذت بعض قبائل الحجاز نفس الموقف حيث أن المعارك لم تحسم بعد: (وكان لموقف قبيلتي جهينة وحرب أثر حاسم على المعركة، وقد فاتح طوسون زعماء القبيلتين بعد نزوله في ينبع، ولكنهم رجّحوا كفة السعوديين عندما ظهر عبد الله بن سعود بجيشه قريباً من مضاربهم، ورتب ابن سعود مع هؤلاء الزعماء خطة لمفاجأة جيش طوسون بالهجوم في مكان يصعب فيه الدفاع عن النفس١٩ فكانت موقعة (وادي الصفراء) التي هزم فيها طوسون بضربة قاصمة لقواته، ولو كان عبد الله على جانب من الحكمة لاستطاع إنهاء القوات الغازية بسهولة، وذلك بمواصلة الهجوم على هذه القوات.

ولكن.. حسب ما يذكر صاحب اللمع، أن قبائل حرب هذه صالحت طوسون في أواخر سنة ١٢٢٨ وتعهّدت أن تقاتل معه:

(وكان في آخر سنة الثامنة والعشرين من هذا القرن مصالحة بعض الطوائف من حرب مع تسم (طوسون) باشا، حيث جاء كبارهم اليه بالهدايا من الخيل النجاب والإبل، فأعطاهم مالاً كثيراً، وكساهم بأفخر كسوة. وقد تعهّدوا له أن يسيّروا كل غزو من غزواته الى أي موضع يشاء من أطراف الحجاز التي تحت طاعة سعود)٢٠.

الدعوة الوهابية إعتمدت في توسعها العنف تجاه الناس الذين جاءت اليهم بدعوى إنقاذهم من الشرك.. فنفروا منها

احتلال المدينة

لأن عبد الله بن سعود لم يستغل هزيمة القوات المصرية فيدمّرها كلياً، فإن طوسون باشا.. وبناء على أمر والده، حاول الاحتفاظ قدر الامكان بينبع، ريثما تصله الامدادات من والده، كما استفاد من الخطأ السعودي (وبدأ يبذل جهوده في استمالة القبائل البدوية بتقديم المال والهدايا اليها، الى أن وصلته الامدادات من مصر عام ١٢٢٧هـ، بعدها عاود الاستعداد لاحتلال المدينة فاحتل وادى الصفراء، وتقدم بمساعد قبائل حرب وجهينة نحو المدينة المنورة).

ويذكر صاحب اللمع أنه قبل شهرين من وصول طوسون ومحاصرته للمدينة، كان سعود قد جاء على عجل اليها، ورتب فيها قوة تقدر بثمانية آلاف رجل، بقيادة ابراهيم بن عفيصان وكان سعود قد سبق المدينة بأن سافر الى مكة (وأهدى الشريف مالاً كثيراً، وتوجه معه في مكة، وجددوا العهود، وكان غرض سعود بهذه الهدايا والعهد الجديد مع الشريف غالب، توطئة نفس الشريف على متابعته، وأن لا يغتر بموافقة الروم، فالشريف قبل منه ذلك وكان محتالاً من الجانبين، يريد انفراد نفسه عن الروم وعن متابعة سعود)٢١.

وبعد حصار للمدينة المنورة دام شهرين، استطاع طوسون احتلالها. وقد هرب قائد القوات السعودية ابراهيم بن عفيصان، وقتل حسب ما نقل صاحب اللمع (ألفا رجل) ثم.. (أرسل طوسون لوالده بشائر النصر،

مصحوبة بثلاثة آلاف من آذان القتلى، ومفاتيح الحرم النبوي الشريف).. وبرغم هذه الفظائع (كان لفتح المدينة المنورة رنّة فرح في كل ارجاء الدولة العثمانية)٢٢.

ويعتقد ابن بشر أنه لولا تواطؤ أهالي المدينة ما سقط بيد الغزاة: (ثم إن العساكر المصرية كادوهم بكل كيد، وسدّوا عنهم المياه الداخلة في وسط المدينة، وحفروا سرداباً تحت سور قلعة المدينة، وملؤوه بالبارود وأشعلوا فيها النار، فانهدم السور فقاتلهم من كان فيها من المرابطة قتالاً شديداً.. ثم أهل المدينة فتحوا للترك باب البلد، فلم يدر المرابطة الا والرمي عليهم من الترك داخل البلد.

وذلك لتسع مضين من ذي القعدة فانحاز المرابطة وجنود المسلمين الى القلعة فاحتصروا فيها.. فكثر فيها المرضى والجرحى، فطلبوا المصالحة بعد أيام فنزلوا منها بالآمان، وهناك في هذه الواقعة من المسلمين بين القتل والوباء والهلاك في البر بعد ما خرجوا من المدينة وقبل أن ينزل عليهم الترك.. نحو أربعة آلاف رجل٢٣.

وقبل أن تتهيأ الحملة لاحتلال مكة المكرمة، انحاز الشريف غالب للقوات المنتصرة وسلمهم ميناء جدة للاستفادة منه، وتمكنت القوات المصرية من الوصول الى البلد الحرام، وبمساعدة الشريف غالب والبدو المؤيدين لها، ودخلت مكة دون حدوث أدنى قتال مع قوات عبد الله بن سعود التي انسحبت الى قرية العبيلا٢٤.

ويقول ابن بشر موضحاً كيفية الاستيلاء على مكة والطائف:

احتلال مكة والطائف

[ثم دخلت السنة الثامنة والعشرين بعد المائتين والألف وفيها.. في آخر المحرم، خرج عثمان بن عبد الرحمن المضايفي من الطائف ونزل (رنية) البلد المعروفة ثم ان طوسون والعساكر المصريين ساروا الى مكة ودخلوها غير قتال، وذلك بعدما قتل عبد الله.. فنزل طوسون قصر القرارة المعروف في مكة.. وكان الشريف هو الذي دعاهم لدخولها ومآلاهم عليه.. فلما استقر الترك في مكة، سار مصطفى قائد كتائب الفرسان المصرية، ومعه راجح الشريف، وابن غالب الشريف الى الطائف، ودخلوه وضبطوه، وكاتبهم جميع رعايا عثمان من نواحي الطائف وأطرافه، وتبعهم زهران وغامد وغيرهم، وثبت أهل رنية وبيشة وجميع الحجاز اليماني٢٥.

الجدير بالذكر هنا، أن أغلب أهالي الحجاز اليماني كانوا شوكة بعين القوات المصرية الغازية التي حاولت مراراً السيطر عليهم ففشلت، وبقوا على حرب الحملة المصرية رغم محاولات ابو مسمار الموالي لها الى أن شارفت الدرعية على السقوط فسقط إقليم عسير بمؤيديه في قبضة محمد علي الباشا.

وحول تأثير احتلال مكة على العالم الاسلامي فإنه قابلها بابتهاج: (ولم تكن فرحة الاستيلاء على مكة في مصر والآستانة بأقل من فرحة الاستيلاء على المدينة، ويذكر الجبرتي أن القاهرة زينت على أثر وصول نبأ فتح مكة اليها خمسة أيام متواليات، بخلاف ما ساد نجد من حزن نتيجة لهذه الهزائم٢٦، على حد ما يذكره المؤرخ عثمان بن بشر.

وفي الوقت الذي حاولت فيه القوات المصرية تجنّب الاصطدام مع البدو وحاولت إغراءهم بالمال والخلع والهدايا، شن سعود حملات ضارية على القبائل والبوادي من حرب وجهينة فسبى نساءهم، وهدم بيوتهم وقطع نخيلهم، وفعل الأفاعيل بهم، فما زاد ذلك هذه القبائل الا تمسكاً بالحملة المصرية، او ما يسميها ابن بشر (بالتركية).

[وفيها - ١٢٢٨ - في آخر ربيع، سار سعود بالجيش المنصور من جميع النواحي وآفاق نجد الحاضرة والبادية وقصد الحثاكية الماء المعروف قرب المدينة النبوية، وكان في قصرها عسكر من الترك مع عثمان كاشف، وعلى الماء أعراب من حرب وغيرهم، فلما أقبل عليهم هرب البوادي بإبلهم وبونها الحرة، فدهمهم المسلمون (يقصد القوات السعودية) في منازلهم، وأخذوا ما وجدوا فيها من الأثاث - يقصد النساء - والامتاع.٢٧. (وقام سعود بحملات تأديبية ضد البدو القاطنين في المنطقة عقاباً لهم على تأييدهم للقوات المصرية)٢٨.

وبعد السيطرة على مكة، أراد محمد علي أن يبرز سمعته في العالم الاسلامي فجاء اليها في ذي القعدة ١٢٢٨هـ ومعه الحاج المصري، وكان في معيته عدد كبير من الجنود، وقد استقبله الشريف غالب، لكنه اعتقله في بداية عام ١٢٢٩هـ واستولى على كل أمواله: وفي هذه الاثناء.. اتصل محمد علي بزعماء القبائل التي تسيطر على الطريق بين الطائف ومكة من قبائل هذيل وسعد وثقيف، وحصل على تعاون قبيلة عتيبة شرقي الطائف، وبذلك أمّن الطريق الى تربة، التي حاصرها طوسون نحو أربعة أيام، ورماها بالمدافع والقنابل فلم يؤثر فيها وقتل كثير من جنده٢٩.

وفي عام ١٢٢٩ توفي الامير سعود، وقد أثر موته على ضعف القوات السعودية، كما أن عقدة القبائل والمدنيين منه والتي خلقها الرعب تلاشت بموته، وبقي إبنه الذي مهما بلغت هيبته فإنها لم تصل الى الحد الذي وصلت اليه هيبة أبيه، من خلال حروبه الدائمة والمتواصلة خلال ما يزيد عن عشرين عاماً، وعليه.. لم تبال القبائل بعبدالله، رغم إظهاره القوة والعنف بين فترة واخرى، وانضمت بسرعة الى قادة الحملة المصرية.

وفي هذا الموقع نشير الى ان ثروة سعود التي خلفها كانت هائلة جداً، كان منها ما أوضحه ابن بشر في قوله نقلاً عن رجل يعلم القرآن في القصر: (وملك من الخيل العتاق ألفاً وأربعمائة فرس، يغزو معه منها ستمائة فرس، يركبها رجال انتقاهم من شجعان البوادي وشجعان مماليكه وغيرهم، قال: ومماليكه الذكور أكثر من خمسمائة مملوك، وقال غيره: ستمائة.. الذكور، وقال آخر إن مماليكه ألف ومائتان الذكور، وخمسمائة الاناث)٣٠.

عاد محمد علي باشا الى مصر عام ١٢٣٠ هـ مضطراً خوفاً على ضياع ملكه، في الوقت الذي أحرز فيه ابنه طوسون إنتصارات مكنته من دخول بلدي (الرس والخبرا) في القصيم بدون قتال، حيث تفاهم معه السكان على التسليم قبل وصول الامير عبد الله إليهم، حيث وصل الى بلدة الرويضة بالقرب من الرس، وتمكن طوسون بمساعدة قوة من عشائر حرب ومطير.. من الاستيلاء على كثير من قرى القصيم، مثل الشبيبة والخبرا وغيرهما، وأصبح الطريق الى الدرعية مفتوحاً أمامه.

الصلح: الانهزام

وفي أثناء تواجده على حدود نجد عرض عبد الله بن سعود، وكان لا يزال واقعاً تحت الهزيمة، الصلح وينفرد ابن بشر بالقول:

(إن طوسون هو الذي أخذ زمام المبادرة نحو عرض ايقاف القتال، ولكن الشروط الواردة لدى المؤرخين الاجانب لعصر محمد علي تؤكد ضعف موقف السعوديين، ولذا نكاد نجزم بأن العرض جاء من عبد الله بن سعود).

وحسب هذه الشروط يستمر عبد الله بن سعود في حكم نجد، على أن يسلم بتبعيته الروحية للسلطان ويؤدي له الجزية، ويكون من الناحية الادارية تابعاً لحاكم المدينة ويتعهد فوق ذلك بأن يترك حرية المرور للأتراك في بلاده ويتخلى عن أي ادعاء في الحجاز، وانما يتمتع أتباعه فقط بحرية الوصول الى الاماكن المقدّسة لأداء فريضة الحج، واخيراً يتعهد عبد الله بن سعود بالقدوم الى الآستانة ليقدم ولاءه بنفسه للسلطان)٣١.

ورغم ان الشروط كانت مهينة، ويذكر عبد الرحيم عبد الرحمن نقلاً عن عبد الرحمن الرافعي شروطاً أكثر إهانة فإن عبد الله وافق، وقد سافر طوسون الى مصر ليقدّم هذا العرض للصلح، فرفض محمد علي، لأنه كان متفقاً مع الدولة العثمانية على تدمير الدولة السعودية من الأساس.. بينما يذكر ابن بشر أنه خلال انسحاب قوات طوسون من الرس في أول شعبان ١٢٣٠هـ بعث معهم القاضي عبد العزيز بن حمد بن ابراهيم.. وعبد الله بن محمد بن بنيان، وقدموا الى مصر وعرضوا وثيقة الصلح

على محمد علي ورجعوا منه وانتظم الصلح٣٢.
على حد قول ابن بشر والواقع ان انسحاب طوسون كان لسبب عسكري، كما أنه ليس صحيحاً ان الباشا وافق على ذلك.
وحين تراجع طوسون عن مدن القصيم، استغل عبد الله بن سعود الفرصة وراح يمارس ارهابه الشديد للمدن التي خضعت للحملة وأذاقهم العذاب ضعفين مما جعلهم فيما بعد يرتمون، أكثر في أحضان ابراهيم باشا.
يقول الاستاذ صلاح العقاد:
(على كل.. لم ينتقل طوسون نتيجة هذا العرض ـ الصلح ـ إذ أنه لم يطق البقاء في المواقع المتقدمة وعاد الى مصر في نوفمبر ١٨١٥م، وانتهز عبد الله هذه الفرصة لكي يؤدب قبائل القصيم التي تعاونت مع طوسون مستخدماً وسائل عنيفة مما سيؤلبها عليه عندما يظهر ابراهيم باشا في نجد٣٣.
ويقول ابن بشر موضحاً أفعال عبد الله في المؤيدين للحملة المصرية (خوفاً أو طمعاً أو بغضاً لآل سعود): (وفيها ـ ١٢٣١ هـ ـ سار عبد الله بن سعود بجميع رعيته من المسلمين من الاحساء وعمان ووادي الدواسر والجبل والجوف.. وما بين ذلك من البادية والحاضرة، وقصد ناحية القصيم، ونزل على بلد الخبرا وهدم سورها وسور البكيرية عقوبة لهم عن ما قدم منهم من استدعائهم الترك وإدخالهم، وخوفاً أن يحدثوا مثلها فيما بعد.. فأقام عبد الله على الخبرا أياماً وقتل شاعراً في الخبرا إسمه عميان، قتله عبد الله بن حجيلان، ثم رحل منها وسار في وادي الرمّة مسنداً الى جهة الحجاز، وقد ذكر له عربان من حرب ومطير في أمواه الحجاز فأنذروا عنه وانهزموا!).. الى أن يقول: (ثم قفل راجعاً الى وطنه وأمسك ثلاثة رجال من رؤساء أهل الرس وسار بهم الى الدرعية، رئيس الرس شارخ واثنان معه)٣٤.
وما إن عاد الوفد الذي بعثه عبد الله بن سعود لمحمد علي باشا يستعطفه من أجل الصلح فاشلاً، (حتى حضر الى القاهرة زعماء بعض القبائل النجدية التي تعرّضت لانتقام عبد الله بن سعود، وأخذوا يحرضون الباشا على استئناف القتال حتى يخلصهم من حكم الدرعية، وقد اعترف بذلك المؤرخ النجدي عثمان بن بشر، وقال ان (إسراف عبد الله في أعمال الانتقام في القصيم وغيرها قد أضعف مركزه عند مجابهة المصريين)٣٥.
الجدير بالذكر أن ابن بشر يذكر ان عبد الله بن سعود أرسل وفداً آخر يطلب الصلح: (وفيها ـ ١٢٣١ ـ ارسل عبد الله بن سعود حسن بن مزروع وعبد الله بن عون لمحمد علي في مصر، بهدايا ومراسلات بتقرير الصلح، فلما قدموا عليه في مصر وجدوه قد تغير)٣٦.
لقد كان عبد الله بن سعود ذليلاً في تعامله مع محمد علي باشا، وكانت رسائله كثيرة تبين نظرة عبد الله الدونية لنفسه، حيث قبل بأغلب الشروط التي وضعها المصريون، رغم فجاجتها، وتجريحها لكرامة الانسان.. ولهذا ـ حسب ما يذكر جلال كشك٣٧ رفض فيصل بن سعود لأخ الأمير عبد الله والذي قتل في حرب الدرعية أثناء الحصار، رفض القبول بالصلح، وأنشد شعراً موجهاً لأخيه عبد الله المنهزم يقول فيه:

لا أصلح الله منا من يصالحكم
حتى يصالح ذئب المعز راعيها

ويزعم كشك بأن الصلح (لاقى استحساناً في معسكر عبد الله)، ثم بعد أسطر يناقض نفسه فيقول: (لم يتم الصلح بسبب القيادة السعودية من ناحية، ولأن المناخ النفسي لم يتهيأ لقبوله في المعسكر السعودي، فمجموع الموحدين الذين عاشوا سنوات النصر المتواصل قبل وصول عسكر محمد علي، لم يصدقوا أن التاريخ قد تحوّل بهذه السرعة، وأن هؤلاء الكفار المشركين يمكنهم أن يقضوا على حلم إعادة التاريخ الاسلامي كما بدأ٣٨.

إسناد القيادة لابراهيم باشا

وفي العموم.. لم يتم الصلح مع قوات محمد علي، وكان هناك اصرار من قبل الدولة العثمانية ومن محمد علي باشا على إنهاء الحكم السعودي مهما كانت التكاليف، فبعث محمد علي بعد وفاة ابنه طوسون بقوات إضافية مع إبنه ابراهيم (وبعضهم يقول أنه ابن زوجته)، لاكمال مهمة سلفه.. ويقول الاستاذ العقاد مفسّراً إصرار حاكم مصر على السيطرة على نجد، بأن المبادىء الوهابية أخذت بالانتشار في القاهرة: (ويذكر أنه من بين الاسباب التي زادت من حماس الوالي للقضاء على الدولة السعودية، خوفه من انتشار المبادىء الوهابية في القاهرة)٣٩.
إتجهت حملة ابراهيم باشا بعد أن أكملت استعداداتها نحو ينبع فوصلت اليها في ٤ ذو القعدة ١٢٣٣هـ/٢٦ سبتمبر ١٨١٦م، ثم توجه ابراهيم نحو المدينة المنورة، وقبل أن يبدأ عملياته العسكرية ضد المدن الموالية للدرعية من أجل احتلالها.. رتب وضعية جنوده واستمال رجال العشائر المحلية، فزادت أعداد قواته كثيراً واصبحت ذات كفاءة عالية.
(وإلى حين وصول حملة ابراهيم باشا الى بلاد الحجاز، كان عبد الله بن سعود لا يزال يكاتب محمد علي والسلطان مبدياً رغبته في اعلان طاعته للدولة العثمانية وإنهاء حال الحرب.. الا أن الباب العالي أرسل الى محمد علي يحذره بانه لا يجب الرد على الرسائل التي يرسلها عبد الله بن سعود، وعدم الاهتمام بمثل هذه الرسائل)٤٠.
كما (أن الحملة التي قادها ابراهيم باشا، لم تكن مقصورة على الجنود الألبان أو الأرناؤوط بل ضم اليها عدداً غير قليل من المصريين، وتذكر بعض المصادر أن البدو.. سواء من شرق مصر أو من الحجاز ونجد، صاروا يشكلون أغلبية من بين أفراد هذه الحملة، واستخدم إبراهيم باشا المال على نطاق واسع لإغراء بعض القبائل النجدية، حتى أنه استهوى فروعاً من قبيلة عنزة ذات القرابة بالأسرة السعودية)٤١.
ومما ساعد ابراهيم على استمالة القبائل، أنه استعمل الشدة مع الجند، وعاقب كل من يعتدي على العربان او يسلب منهم شيئاً، ولذا كان يدفع ثمن كل ما يأخذه جنوده من العربان وكان لهذا العمل تأثير كبير على نفوس البدو الذين أعلن معظمهم الولاء له٤٢.

كان للنزعة المادية والسلطوية لدى القوات السعودية الوهابية دور في تخفيض درجة التعلق بالدين والسياسة

وفي الوقت نفسه (اختلفت معاملة ابراهيم باشا لأهالي هذه البلدان، عن الأساليب الشائعة بين الجيوش العثمانية، التي كانت تتكل بأهالي وحاميات البلدان التي تضطر الى الاستسلام)٤٣.
ولكن ذلك لم يمنعه من استخدام العنف والقسوة في مواقع عديدة خصوصاً حين شارفت حملته على تحقيق أهدافها، وبعد أن نجحت فعلاً قبل ذلك.
وقبل أن يتوجه ابراهيم من الحناكية نحو الرس، أول بلدة أمامه، ومفتاح الطريق نحو الدرعية، دارت معركة بين قوات عبد الله سعود وبين قواته فانتصر ابراهيم بسبب رجحان كفته على كفة السعوديين، حيث انضم فيصل الدويش٤٤ بعربانه الى الجانب المصري.. فتراجع عبد الله نحو الرس ثم الى عنيزة، وكان ذلك في رجب ١٢٣٢هـ وتقدمت قوات الحملة وحاصرت الرس في ٢٥ شعبان ١٢٣٢ هـ، واستمر الحصار الى أواخر ذي الحجة، ولم تستسلم رغم الضغوطات العسكرية الهائلة، وأرسل أهل الرس الى عبد الله بن سعود الذي كان معسكراً في عنيزة بعد أن تراجع من الرس ورفض المصادمة مع ابراهيم باشا، وطلبوا منه إما أن يرحل الى الترك ويناجزهم.. وإما يأذن لهم بالمصالحة٤٥ فلم يجبهم ولم يحرك ساكناً، لأن الخوف والهلع والجبن قد تملكه، وبسبب هذا الموقف اضطر الأهالي الى الصلح، وكانت شروطهم التي فرضوها أفضل شروط توحي بالقوة والعزة، فقد كانت الشروط كالتالي:
أولاً: رفع الحصار عن الرس.
ثانياً: يضع أهالي الرس السلاح ويقيمون على الحياد.

ثالثاً: لا يجوز لجنود ابراهيم باشا وضباطه دخول الرس.
رابعاً: عدم إجبار أهل الرس على تقديم شيء من المؤونة والميرة للجيش ولا يدفعون غرامة او ضريبة.
خامساً: في حالة استيلاء الجيش المصري على عنيزة بدون قتال تسلّم الرس له، واذا لم ينجح في ذلك يعتبر القتال متجدداً بين الطرفين٤٦.
بعد هذا تقدّم ابراهيم نحو بلدة الخبرا في طريقه الى عنيزة التي يعسكر فيها عبد الله بن سعود، فاحتلها بسهولة، وهنا.. ولضعف الأمير السعودي وعدم تقدّمه لمقارعة ابراهيم.. افتلت قواته عنه، وكما يقول ابن بشر:
(فلما نزلوها ـ أي لما نزل ابراهيم الخبرا ـ وقع الرعب في قلوب المسلمين وتفرقت البوادي، فعيد عبد الله في عنيزة عيد النحر، وأدخل في قصر الصفا المعروف في عنيزة مرابطة من بلدان نجد، واستعمل عليها اميراً محمد بن حسن بن مشاري بن سعود.. فلما رتب عبد الله البلد رحل منها وقصد بلد بريدة ونزلها..)٤٧، أليس هذا فراراً من المعركة؟!.. ففي الوقت الذي تتقدم فيه قوات الحملة نحو عنيزة، يهرب عبد الله منها الى بريدة ويتجنب الاصطدام.. فكانت أن سقطت البلاد الواحدة تلو الاخرى..
فما هي الا ستة أيام لا غير دامت من الحصار، حتى استسلمت الحامية السعودية بقيادة محمد بن حسن بن مشاري بن سعود، بشرط عدم أسرها(!!).. والسماح لها بالفرار أنّى شاءت، ويشترط أن تسلم الحامية ما لديها من الأسلحة والذخائر والموْن لقوات ابراهيم٤٨. وبعد سقوط عنيزة، أرسل ابراهيم لبلدة الرس من يستلمها طبقا لشروط الصلح، فقد كانوا يتوقعون عدم سقوطها لأنه الأمير فيها، فإذا به يهرب ويسلّم البلد لقمة سائغة للغزاة ويذكر ابن بشر إن أهالي عنيزة سلّموا أمرهم للقوات الغازية منذ بداية الأمر، ويفسر ذلك بسبب انسحاب عبد الله بن سعود، وتأثير ذلك عليهم.
والطريف أن عبد الله حين سمع بسقوط عنيزة، رحل من بريدة وقصد الدرعية، وأذن لقواته بأن ترجع الى أوطانها، وهذا العمل يعتبر قمة الانهزامية والتراجع والفرار، ولهذا استغل ابراهيم الموقف كالعادة، ورتب حاله في عنيزة ثم تقدّم نحو بريدة واحتلها بسهولة، رغم أن أميرها حجيلان من أكبر معاوني عبد الله بن سعود، وتلمّس سهولة احتلالها من قول ابن بشر: (فلما أخذ القصر ـ قصر الصفا في عنيزة ـ وضبطه بالعساكر.. ارتحل منها وقصد بلد بريدة، وأميرها يومئذ مع ناحية القصيم حجيلان بن حمد، ونازل أهلها فأعطوا له..)٤٩. وكان احتلال بريدة في الاشهر الاولى من عام ١٢٣٢هـ.
ويضيف ابن بشر: (ثم أنه نزل بلد المذنب فأطاعوا له، ثم رحل من المذنب وقصد الوشم ونزل بلد أشيقر والفرعة، فاستأمنوه ودخلوا في طاعته).

هوامش

١ ـ يسمي بعض المؤرخين الحملة بـ (التركية) والقوات بـ (الروم) لأن أغلبهم لم يكونوا من المصريين العرب وإنما كانوا من عناصر اخرى
٢ ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية عدد ١٩٧٦/٦ مقال لصلاح العقاد بعنوان (الحملة المصرية في شبه الجزيرة العربية) ص ١٠٩.
٣ ـ المصدر السابق ص ١١٠
٤ ـ المصدر السابق ص ١١
٥ ـ المصدر السابق ص ١١٣
٦ ـ كشك السعوديون والحل الاسلامي، مصدر سابق ص ص ١٩٠ ، ١٩٢
٧ ـ مجلة دراسات الخليج العربية عدد ٦ عام ١٩٧٦ ص ١١٤
٨ ـ ليس صحيحاً تماماً، ذلك أن الملك عبد العزيز حكم ما يزيد عن ٥٣ سنة، فلم يحل ذلك دون التصارع بين إبنيه سعود وفيصل على الحكم فلم تسهل بذلك عملية انتقال السلطة، رغم أن أباهما جمعهما قبل موته وأوصاهما بعدم الاختلاف!!
٩ ـ لم يستطع سعود إبن الملك عبد العزيز ولي العهد والده تصفية أخيه فيصل المزاحم، بل العكس
١٠ ـ الطموحات: لفظة مهذبة بدل أن يقول نزعة التسلط وشهوة الكرسي والحكم
١١ ـ في التاريخ السعودي الحديث رغم توضيح من هو الملك القادم، فإن الاختلافات والتناحرات جارية على قدم وساق وذلك يرجع الى طبيعة الحكم المخالف للدين، وهي الملكية البغيضة المخالفة للشورى
١٢ ـ كشك، مصدر سابق ص ص ١٩٠، ١٩٢
١٣ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الاولى، مصدر سابق ص ٢٤٣
١٤ ـ المصدر السابق
١٥ ـ مديحة درويش، مصدر سابق ص ٥٥
١٦ ـ ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص ١٩٩
١٧ ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية عدد ١٩٧٦/٦ ص ١١٠
١٨ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن، مصدر سابق ص ص ٢٩١، ٢٩٣
١٩ ـ مجلة دراسات الخليج عدد ١٩٧٦/٦ ص ١١١
٢٠ ـ لمع الشهاب، مصدر سابق ص ص ١١٥، ١١٦
٢١ – لمع الشهاب ، ص ١١٥.١١٦
٢٢ – عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الاولى، ص ٢٩٦
٢٣ – ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص ١٦٠
٢٤ – عبد الرحيم بن عبد الرحمن، الدولة السعودية الاولى، ص ٢٩٧
٢٥ – ابن بشر المصدر السابق ص ١٦٥، وانظر مجلة دراسات الخليج عدد ١ عام ١٩٧٦ ص ١١٢
٢٦ –عبد الرحيم عبد الرحمن، مصدر سابق ص ٢٩٧. ٢٩٨
٢٧ – ابن بشر، المصدر السابق ص ١٦٣/١٦٢
٢٨ – عبد الرحيم عبد الرحمن، مصدر سابق ص ٢٩٩
٢٩ – ابن بشر، مصدر سابق ص ١٦٦
٣٠ – المصدر السابق، ص ١٧٣، صلاح المختار،مصدر سابق ص ١٣٨
٣١ – مجلة دراسات الخليج عدد ١٩٧٦/٦ ص ١١٦
٣٢ – ابن بشر ص ١٨٥
٣٣ – مجلة دراسات الخليج، مصدر سابق ص ١١٦
٣٤ – ابن بشر ص ١٨٧/١٨٦، وأنظر عبد الرحيمعبد الرحمن، المصدر السابق ص ١٣٧
٣٥ – النسخ التي بين يدي من كتاب عنوان المجد لابن بشر تختلف عن النسخ السابقة التي يعتمد عليها كثير من المؤلفين، وهي في هذا الموقع لا تحتوي ما ذكره من اسراف في اعمال القتل وتأثير ذلك ولا شك ان هذه الطبعة لكتاب ابن بشر قد مرت على مقص الرقابة السعودية فاقتطعت الكثير من الاخبار والمواضيع العامة والاحداث لذا اقتضى التنويه.
٣٦ – العقاد، مجلة دراسات الخليج عدد ٦ عام ١٩٧٦ ص ١١٧
٣٧ – ابن بشر، المصدر السابق ص ١٨٧
٣٨ – كشك المصدر السابق ص ١٩٤
٣٩ – المصدر السابق
٤٠ – مجلة دراسات الخليج عدد ٦ ص ١١٧
٤١ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن، مصدر سابق ص ٣١٩
٤٢ – مجلة دراسات الخليج عدد ٦ عام ١٩٧٦ وانظر ايضاً ابن بشر ص ١٨٧
٤٣ – عبد الرحيم عبد الرحمن، مصدر سابق، ص ٣١٩
٤٤ – مجلة دراسات الخليج عدد ٦ عام ١٩٧٦
٤٥ – هو ليس فيصل الدويش قائد جيش الاخوان الذي ظهر في القرن العشرين وحارب مع الملك عبد العزيز الى أن فتح له معظم بلدان الجزيرة العربية ثم قتله في معركة السبلة المعروفة.
٤٦ ـ ابن بشر، مصدر سابق ص ١٨٩
٤٧ – عبد الرحيم عبد الرحمن، مصدر سابق ص ٣٢٢
٤٨ – ابن بشر مصدر سابق ص ١٩٠
٤٩ – عبد الرحيم عبد الرحمن مصدر سابق ص ٢٢٣

من فتاوى التشدد والتكفير الوهابي

التلفزيون حرام ومنكر

طلب الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد من فيصل إزالة المنكر ومنع إقراره مثل (وجود التلفزيون) خاصة في الشرقية، وكذا آلات الطرب بيعاً واستعمالاً (الدرر السنيّة: ج ١٥، ص ٣١)؛ ورأى أن مستخدمي التلفزيون تركوا القرآن مهجورا، وأنهم (في شكهم يعمهون، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما تلته الشياطين على ألسنة أسلافهم من أهل الضلال...الخ).. وتابع: (لا شك أن المؤيدين لهذه الآلة ـ التلفزيون ـ من هذا القبيل، قذف الشيطان بزبده في تلك القلوب المظلمة، فرأوا ان التلفزيون أداة تعليم وتثقيف، وبها تتسع مدارك الإنسان ويتسع أفقه) وبالتالي فهو حرام (الدرر السنيّة: ج. ١٥ صص ٢٣٥–٢٣٧، ٢٤٤)

كرة القدم حرام

ورأي مشايخ الوهابية في كرة القدم أنها من الملاهي، وأن كرة القدم لعب (لم يكن في عهد الخلفاء ولا ملوك المسلمين ولا في هذه الدعوة المباركة الى وفاة الشيخ عبد الله). وأن اللعبة مؤامرة (سرت من تلاميذ الغرب حيث تلقتها بعض الدول المنحلّة) غرضها ترك الصلاة. وطالبوا ولاة الأمر بمنعها وأن (يقيموا مكانها التعليم على آلات الحرب) (الدرر السنيّة، ج ١٥، ص ٢٠٠).

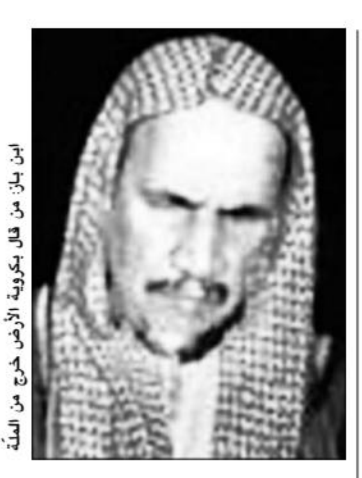
المفتي الأسبق الشيخ محمد بن ابراهيم رأى ان (اللعب بالكرة الآن يصاحبه الأمور المنكرة، ما يقضي بالنهي عن لعبها) لما تنشأه من تحزّبات ولما بها (من الأخطار على أبدان اللاعبين)(الدرر السنيّة: ج ١٥ ص ٢٠٥). أما الشيخ حمود التويجري فألف كتاباً في مثل هذه القضايا، ورأيه أن اللعب بالكرة يقوم به (السفهاء في هذه الأزمان) وهو (من التشبه بأعداء الله) واللعب هذا (من جملة المنكر الذي ينبغي تغييره) (لما فيه من التشبه بالإفرنج) و (الصد عن ذكر الله) والضرر على اللاعبين (وأن اللعب من الأشر والمرح ومقابلة نعم الله تعالى بضد الشكر) ولـ (ما في اللعب بها من اعتياد وقاحة الوجوه وبذاءة الألسن) و (كشف الأفخاذ ونظر بعضهم الى فخذ بعض) وبالتالي فهي (من اللهو الباطل قطعاً) وتعلمها او تعليمها في المدارس جهل بلا شك (الدرر السنيّة: ج ١٥ صص ٢٠٦–٢٠٧، ٢١٠–٢١١، ٢١٥).

التصوير حرام والمصور في النار

وهو حرام قطعاً بنظر المشايخ الوهابيين، بل هو (أصل شرك العالم) كله! على حد تعبير أحدهم، وأنه استعمل (مشابهة لأهل الخارج، ولتولية الخونة المرتشية.. ومن الباطل أن يلزم به كل موظف ومتعلم حتى إن صغار المتعلمين يصورن ويعلمون التصوير)! (الدرر السنيّة: ج ١٥، ص ٢٩٥).

ويرى المفتي الأسبق محمد بن ابراهيم أن (تصوير ما له روح لا يجوز، سواء في ذلك ما كان له ظل وما لا ظل له، وسواء كان في الثياب والحيطان والفرش والأوراق وغيرها). وينطبق الأمر على الصور الشمسية. والمجيزون للتصوير (جمعوا بين مخالفة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث سموم الفتنة بين العباد) (الدرر، ج ١٥، ص٢٩٨، ٣٠٣).

والشيخ صالح البليهي أورد ما اعتبره أدلّة عظيمة ورأى أن المسموح به فقط صورة الشجر ورحال الإبل، ونحوها، أما صورة الحيوان فضلاً عن الإنسان، فحرام في الأصل (الدرر، ج. ١٥، ٣١٠ ـ ٣١٠). وطالب البليهي المواطن: (أن يحارب الصور في قوله وفعله واعتقاده ويجب اتلاف ما قدر عليه منها لأنها معصية ومنكر، وإنكار المنكر واجب، وعليه أن لا يدع شيئاً منها يدخل مسكنه، وإن عمّت البلوى بشيء منها، فيجتهد في إزالتها أو طمسها).. بل وطالب المسؤولين بأن (يسعوا جهدهم مبادرين بمنعها ـ أي الصور ـ عن دخول المملكة، وعن بيعها في الأسواق جهاراً، لأن ضررها على الدين والمجتمعات الإسلامية عظيم جداً). وأضاف: (ولا شك أنها من الجيوش الغربية التي غزتنا في عقر ديارنا ونحن لم نحرك ساكناً من سياسة المبشرين للنصرانية) (الدرر، ج ١٥، صص ٣١٤–٣١٥).



ابن باز: من قال بكروية الأرض خرج من الملّة

والشيخ عبد الله بن حميد يرى (الصور حرام بكل حال، سواء كانت الصورة في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها، وسواء ما له ظل أو ما لا ظل له) (الدرر، ج ١٥. ص ٣١٧).

ويرى الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن فريان، أن التصوير داء عظيم ظهر وانتشر وحدث بسببه الشرك الأكبر في البشرية، واعتبره (الداء القتّال) الذي لا يقتل الجسد بل (يقتل الدين) (الدرر، ج ١٥، صص ٣١٩–٣٢٠). وقال الشيخ متألماً (وأعظم من هذا وأطم إدخاله ـ أي التصوير ـ في التعليم، والنداء على المصورات بالبيع في المكاتب والدور والأسواق بل بعض الناس يحمل معه آلة التصوير بجيبه ويصور كلما أراد. فقد سهلت يا عباد الله طرق الفساد، فإنا لله وإنا إليه راجعون) (الدرر، ج ١٥، ص ٣٢٣)!

اما الشيخ حمود التويجري، فألف كتاباً (إعلان النكير على المفتونين بالتصوير)

اعتبر فيه التصوير منازعة لله (فويل للمصورين من عذاب السعير، فكل مصور في النار.. ومن أمر بالتصوير أو رضي به فهو شريك لفاعل هذا الذنب الكبير)! ووصفه بأنه (منكر ذميم) موروث من قوم نوح! ومن النصارى! ومن مشركي العرب وهو (محادّة لله تعالى ولرسوله) وأضاف (ما يفعله هؤلاء العصاة من تصوير الكبراء ونصب صورهم في المجالس وغيرها لا يشك عاقل شم أدنى رائحة من العلم النافع أنه مثل ما فعله قوم نوح...الخ). والتصوير بنظره (شرك أكبر) وأن من واجب ولاة الأمر (أن يمنعوا رعاياهم من صناعة التصاوير، واتخاذها، وأن يطمسوا ما يوجد منها).. وتابع بأن الصور (داخلة في مسمّى الأصنام) (الدرر، ج. ٣٢٦-٣٣٣).

حلق اللحى حرام ومنكر وكبيرة

ولعلماء الوهابية بكائية ومناحة في هذا الأمر. فهي ليست محرمة فقط، بل (مخالفة للعقل والفطرة والنظر) ورأوا أن حلقها جاء (بسبب الإختلاط بالمنحلين، فكثر حلقها رغبة في التخنّث والتشبّه بالنساء) (الدرر، ج ١٥، صص ٣٣٤-٣٣٥). والشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد رأى في حلق اللحية (منكراً) واعتبره (تغيير خلق الله ومخالف لهدي رسول الله). وقال (اللحية شريفة، ولها أهمية كبيرة) وشنّع على أولئك الذين (عادوا اللحية وقلوها، وبالأمواس أو النتف أزالوها، فوجوههم خالية من الشعر، جرد مرد، كوجوه النساء، قد استحوذ عليهم الشيطان). ورأى أن (حلقها نوع من التخنّث، وكفر لهذه النعمة، ولا يرضى بحلقها إلا من سفه نفسه، وعميت بصيرته.. وأضاع شرفه، وخالف هدى نبيه) (الدرر، ج. ١٥، صص ٣٤٤-٣٤٥). أما النائح الشيخ حمود التويجري فرأى حلق اللحية من التشبه بأعداء الله، ومثله (تقزيع شعر الرأس بحلق جوانبه، أو قفاه، أو مواضع منه) فهذا برأيه (من فعل اليهود والنصارى والمجوس) يفعله السفهاء. (الدرر، ج ١٥، ص ٣٤٦).

لباس الشرطة حرام

والوهابيون متشددون في لبس البنطال وغيره حتى لو لبسه رجال الشرطة، فهو (محرم لمشابهته الإفرنج) وأشاروا الى أنهم اتفقوا مع الملك أن لا يُلبس الشرطة الزي المشهور من برنيطة وغيرها! وزاد المشايخ تحريمهم للمشية العسكرية لذات السبب (مشابهة الإفرنج) وكذلك الضرب بالرجل على الأرض والتحية العسكرية. (الدرر، ج ١٥، ص ٣٦٣). وكتب مجموعة من كبار مشايخ الوهابية الى الملك يشكون اموراً كثيرة فظيعة بنظرهم! وقالوا له (وأعظم ما ننصحك به عما رأيناه وسمعناه من المنكرات الفظيعة الشنيعة التي تنقص الإسلام والدين: اللباس الذي هو شعار الإفرنج والترك والأعاجم، ولم يعهد عن الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام تخصيص جندهم بلباس خاص، غير اللباس المعتاد للرعية)! ورأوا أن (كل زي اختص به الكفار يحرم على المسلمين استعماله وموافقتهم فيه) (لأن اتخاذه واستعماله ينقص دين المسلم وهو محرم والمشابهة توجب التأثير في المشابه به) الخ. ومن الأمور التي اشتكوا منها (تعليمات الجند، التي هي من زي المشركين، والأعاجم، وكذلك المزيكة والبرزان التي طقت هذا الأيام في العود كل عصرية... وهي كلها من شعائر الإفرنج والترك والأعاجم الذين هم أعداء هذه الملة الإسلامية).. وتابعوا: (نحن نبرأ الى الله أن نوافق على هذه الأفعال وعدم السكوت عن الإنكار، والبراءة منها ظاهراً وباطناً، ونبرأ الى الله من فعلها وإقرارها لأن إقرارها من إقرار شعار الكفر والشرك) (الدرر، ج ١٥، صص ٣٦٤-٣٦٦). وانظر الى تكفير الوهابيين للمسلمين بالجملة: الترك والفرس (الأعاجم) وترتيب أحكام على ذلك التكفير.

البنطلون والقميص والقبعة حرام

والشيخ حمود التويجري، رأى أن من التشبه بأعداء الله (لبس البرنيطة ـ القبّعة). وأن من يلبسها (منتسب الى الإسلام) في بلد فشت فيها (الحرية الإفرنجية وانطمست فيها أنوار الشريعة المحمدية). واعتبر لبس السترة والبنطلون من ملابس الإفرنج من البلاوي العظام لما فيه من المشابهة الذميمة. وتابع (من جمع بين هذا اللباس ـ البنطلون والقميص ـ وبين لبس البرنيطة فوق رأسه فلا فرق بينه وبين رجال الإفرنج في الشكل الظاهر، وإذا ضمّ الى ذلك حلق اللحية، كان أتمّ للمشابهة الظاهرة.. ومن تشبه بقوم فهو منهم). ورأى حجة من يقول بأن لبس القبّعة يقي حرّ الشمس، وأن البنطال (لمباشرة الأعمال) رأى التويجري ذلك بأنه (دعوى حيلة على استحلال التشبة المحرم والحيل لا تبيح المحرمات)! (الدرر، ج. ١٥، ص ٣٦٧-٣٦٨). وزاد التويجري أن من التشبّه بأعداء الله (تدريب الجنود على الأنظمة الإفرنجية، وتشكيلهم بشكل أعداء الله تعالى، في اللباس والمشي وغير ذلك من الإشارات والحركات المبتدعة). واعتبر التحية العسكرية مدعاة للهزء والسخرية وهي (مستهجنة من جملة المنكر الذي ينبغي تغييره) . بل اعتبر مثل ذلك أشبه ما يكون بـ (البغال والحمير إذا ما أحسّت بشيء يدبّ على أرجلها)! وطالب من لا يعتقد بهذه المشابهة أن (ينظر الى البغال والحمير... حتى يرى تمام المشابهة) (بل ضرب الشرط بأرجلهم أفحش وأنكر من ضرب البغال والحمير بأرجلها) وطالب المسؤولين بـ (منع هذه الأفعال المخالفة للشريعة المحمدية) (الدرر، ج. ١٥، صص ٣٧٤-٣٧٥، ٣٧٩-٣٨٠).

التصفيق حرام

وهو بنظر مشايخ الوهابية (من أبشع المنكرات) وهو من فعل (الجهّال) عند رؤيتهم ما يعجبهم من الأفعال وهو (سخف ورعونة) لا يقوم به إلا (سفيه) الرجال فضلاً عن كونه تشبهاً بأعداء الله، بل هو تشبّه بالنساء، على حد تعبير الشيخ حمود التويجري (الدرر، ج. ١٥ صص ٣٩٦ـ ٣٩٨). وزاد على ذلك بأن التصفيق (لم يكن من هدي رسول الله ولا من هدي أصحابه) بل هو تقليد لكفار قريش و جهال المتصوّفة الأشرار.

تحريم العمل مع الشركات الأجنبية

وحرم الشيخ عبد الله سليمان بن حميد العمل مع الشركات الأجنبية في المملكة ونادى برفيع صوته (إن العمل مع الشركات الأجنبية من أعظم الخطر على العمال المسلمين لما يحصل من تغيير العقائد وفساد الأخلاق، وانتشار الفوضى، ونقض عرى الإسلام) وطالبهم بـ (لا تكونوا كالأنعام يقودكم الشيطان الى الآثام ويتحكم الكفرة فيكم بما شاءوا حتى يخرجوكم من دينكم وأنتم لا تشعرون) ورأى في العمل ذاك مرافقة للأشرار وهي (عار وهلاك. إنكم في زمان شره كثير

وخيره قليل. ابتعدوا عن قرناء السوء، فإنكم إن لم تشاركوهم في عملهم أخذتم بنصيب من الرضى عنهم، والسكوت عن الإنكار عليهم، فتكونوا أنتم وإياهم في الإثم سواء) (الدرر، ج. ١٥، صص ٤٨٥–٤٨٨). وأخيراً يوصي من اضطر للعمل في الشركات الأجنبية وابتلوا (بمخالطة الأنجاس الأرجاس) بأن: (لا تخضعوا للكافرين، ولا تبدؤوهم بالسلام، ولا تعظموهم في شيء من الأمور، وأظهروا لهم البغضاء والعداوة... ولا تقوموا لهم، وإذا لقوكم في طريق فاضطروهم الى أضيقه، ولا تقلدوهم في شيء من أمورهم وأفعالهم) (الدرر، ج١٥، صص ٤٩١–٤٩٢).

بيع الزهور وإهدائها حرام

فقد أفتت أعلى هيئة في المملكة بحرمة بيع الزهور أو إهدائها للمرضى لأن ذلك (ليس من هدي المسلمين على مر القرون إهداء الزهور الطبيعية أو المصنوعة للمرضى في المستشفيات، أو غيرها) واعتبروها عادة وافدة من بلاد الكفر وهي (محض تقليد وتشبيه بالكفار لاغير) (وبناء على ذلك: فلا يجوز التعامل بالزهور على الوجه المذكور ، بيعاً ، أو شراءً ، أو إهداءً) (فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم ٢١٤٠٩ تاريخ ٢١/ ٣/ ١٤٢١).

تحريم اللغة الإنجليزية

وحرم عدد من مشايخ الوهابية تعلّم اللغة الإنجليزية بشكل عام، وقد قامت قيامتهم حين اتجهت النيّة لتدريسها في المرحلة الإبتدائية. وأفتى الشيخ ابن عثيمين بذلك مؤكداً قول ابن تيمية الذي يرى أنه لا يصح لمسلم التكلم بغير اللسان العربي. واستندوا الى رواية ضعيفة تقول ان التحدث بغير العربية يورّث (النفاق)! ويقول العثيمين (معلوم أن اعتياد التكلم بغير العربية حتى يكون عادة أمر غير مشروع لأن يورث محبة أهل تلك اللغة من الكفرة وهو مخالف لعقيدة الولاء والبراء من الكفار). وحذّر: (الذي أراه أن الذي يعلم صبيّه اللغة الإنجليزية منذ الصغر سوف يُحاسب عليه يوم القيامة؛ لأنه يؤدي إلى محبة الطفل لهذه اللغة، ثم محبة من ينطق بها من الناس؛ هذا من أدخل أولاده منذ الصغر لتعلم اللغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات). وسأل: (فليتق الله من يريد جلب هذه اللغة إلى أبناء المسلمين).

كفر من قال بكروية الأرض ودورانها

وهذا رأي المفتي الشيخ عبد العزيز بن باز، ولكنه تنازل عن جزئية إمكانية الصعود الى القمر، وقال بأن ذلك محتمل، ولكن العلم على وجه اليقين غير معلوم، ولا يجب أن يصدّق من يقول به إن كان غير مسلماً! أما فتواه بكفر من يقول بكروية الأرض ودورانها، فإنها لم تكن فتوى عادية، بل كانت كتاباً، إضافة الى فتوى، وقد سببت مشاكل مع العالم كله ومع علماء المسلمين في أقطار عربية أخرى (الشيخ الصواف). وكان مما أفتاه في الأمر: (القول بدوران الأرض قول باطل والاعتقاد بصحته مخرج من الملة لمنافاته ما ورد في القرآن الكريم من أن الأرض ثابته وقد ثبتها الله بالجبال أوتاداً، قال سبحانه وتعالى: والجبال أوتادا. وقوله جل وعلا: وإلى الأرض كيف سطحت. وهي واضحة المعنى فالارض ليست كروية ولا تدور كما بين جل وعلا، وقد يكون دورانها او تغيرها من غضبه سبحانه.. والجبال موضوعة في الأرض لترسيتها عن الدوران والتحرك). وقال بأن الله لم يذكر ان الأرض تدور (ولو كانت الأرض تدور لأخبرنا بذلك الله سبحانه أو نبيه عليه الصلاة والسلام الذي تركنا على المحجة البيضاء). فانظر الى هذا الجهل والإسراع في التكفير.

تعليم البنات والعلوم العصرية حرام

فالشيخ صالح اللحيدان، رئيس المجلس الأعلى للقضاء يربط بين ضعف الإلتزام وانتشار المدارس! فيقول: (ففي بلادنا تضعف روح الإسلام ويخف سلطانه على النفوس عند المتعلمين، ويتسع هذا الضعف يخف ذلك السلطان بقدر ما يتسع التعليم وتنتشر المدارس) (الدرر - ج ١٦ صص ٥٠–٥١). والشيخ عبد الله بن حميد كتب



الشيخ اللحيدان: المدارس تُبعد عن الدين

الى وزير المعارف رأيه بأن سبب الجهل بالدين يعود الى (هذه الفنون المعوقة كالرسوم والأشغال والرياضة البدنية والألعاب الخرى) (الدرر، ج ١٦ ص ١٥). وقال الشيخ عبد الله سليمان بن حميد: (كثيراً ما نسمع كلمات حول تعليم البنات، وفتح مدارس لهن، وكنا بين مصدق ومكذب حتى تحقق ذلك رسميا، فاستغربنا هذا، وأسفنا له غاية الأسف... وإني أنصح لكل مسلم: أن لا يدخل ابنته أو اخته في هذه المدارس التي ظاهرها الرحمة، وباطنها البلاء والفتنة، ونهايتها السفور والفجور وسقوط الأخلاق والفضيلة). وأضاف: (فجأنا خبر فادح ومصيبة عظيمة، وطامة كبرى، ألا وهي: فتح مدارس لتعليم البنات... أيها المسلمون: يا أهل الغيرة والأنفة، اسمعوا لهذا التصريح الشنيع الذي يقصد منه.. مجاراة الأمم المنحلة في تعليم بناتكم الحساب والهندسة والجغرافيا، ما للنساء وهذه العلوم، تضاف الى مايزيد عن أحد عشر درساً غالباً لا فائدة فيها، إنها لمصيبة وخطر على مجتمعنا. إن تعليم المرأة... خطر عظيم على المجتمع، ومصيبة لا تجبر، وعاقبته سيئة؛ إن تعليم المرأة سبب لتمردها، وهن ناقصات عقل ودين) (الدرر، ج١٦ ص ٧١، ٧٤، ٧٨، ٨٠، ٨٣). ورأى الشيخ نفسه (الذين يتعلمون في مدارس الإفرنج) مثل تاركي الصلاة ليس لهم عدالة ولا يقبل لهم قول ويجب على المسلمين هجرهم! لماذا؟ لأن (التلميذ على عقيدة أستاذه ودينه وأخلاقه) وصب جام غضبه على (هذه العلوم العصرية، وهي مبادئ الإلحاد ومقدماته) الدرر، ج١٥ ص ٤٨٩).

الفقيه.. إماماً أم محرّضاً؟!

تعكس الإتصالات والمداخلات التي يجريها مواطنون مع قناة الإصلاح التي يديرها المعارض سعد الفقيه من لندن، تعكس حالة من الإحباط والحقد الدفين على العائلة المالكة، كما تعكس التحدّي الصريح للحكم السعودي، وتكشف عن مواضع الألم والإستياء لدى المواطنين، مثل ممارسات العائلة المالكة الأخلاقية، واللصوصية للأراضي والميزانية، والنهب لأملاك الغير، إضافة الى الفساد الإداري ومشاكل المجتمع الناشئة من انهيار دولة الخدمات والرفاة. أضاف الى ذلك، فإنها تكشف الغضب وروح الإصرار (من وفي مواجهة) وزارة الداخلية بالتحديد، ووسائلها القمعية من سجون وتعذيب.

لقد نجحت القناة في ثلاثة أمور رئيسية:

الأول ـ هو التحريض والحشد للجمهور على النظام الحاكم، وإيصاله الى قناعة أن هذا النظام يجب إسقاطه، لأنه نظام لا يستطيع إصلاح ذاته، وبالتالي لا بدّ من استئصاله. لقد وفرت القناة ـ ولأول مرة في تاريخ السعودية ـ المجال لصناعة رأي عام محلي، او على الاقل كشفت عن ذلك الرأي العام، وأسست لروح جمعية افتقرها السعوديون في أفراحهم وأتراحهم، وهذه الروح الجمعية سخّرت باتجاه النيل من النظام وتحفيز الشارع ضدّه عبر إلهاب العواطف. ولقد أوضحت القناة ان المواطنين لديهم الإستعداد لدفع ثمن الإصلاح، اعتقالاً وغيره، بعكس استعداد النخب.

الثاني ـ لقد نجحت القناة في إسقاط هيبة العائلة المالكة، ونظام الحكم برمّته. فهذا النظام البعبع، جرى كشف مخازيه وأخطائه وتجاوزاته التي فاقت كلّ حدّ، وإن النيل من النظام بالكلام العامي وبالرسائل التلفونية، والحطّ من قدره، أزاح قدسية النظام، وجرّأ المواطنين عليه، وليس هناك أسوأ من إسقاط هيبة الحكم، والسبب أن الهيبة تقوم مقام جيش من الإستخبارات والحرس ومأجوري النظام. ففي الحالات العادية يمكن لفرد من عناصر الدولة من استخبارات ومباحث ورجال شرطة وأمن أن يخرس مائة مواطن، ولكن في الحالات التي تسقط فيها الهيبة، فإن الدولة بحاجة الى أعداد إضافية كي تستطيع فرض تلك الهيبة المضاعة.. وقد تقدر بنحو فرد لكل ثلاثة مواطنين. ومع هذا، فإن التوسّع في استخدام العنف والقوة وتجنيد قوى بشرية في وزارة الداخلية، لا يفيد في حالات الإنهيار والإنحدار للدول والأنظمة. ولهذا فإن المليارات العشرة من الدولارات التي استقطعها نايف من ميزانية العام الماضي، لا تفيد في فرض احترام النظام على أفراد مؤسسة الأمن فضلاً عن المواطنين العاديين.

الثالث ـ إن التحريض وإسقاط الهيبة جرّ الى التشكيك بجدّ في مشروعية نظام الحكم حتى ضمن بيئته السلفية والنجدية والقبلية. إذ أن القناة تكشف عن أعداد غفيرة من المعارضين الذين يبحثون عن مجرد هامش لإسماع صوتهم للنظام ورموزه وللعالم. وبالرغم من الملاحظات والتشكيك الجاد في قوائم زعماء القبائل التي أبدت دعمها ونشرها المعارض الفقيه، ورغم إعلان الكثير من رؤساء القبائل في الصحافة المحلية أن ما يقوله الفقيه مكذوب عليهم، ومن ثم قيامهم بالتنديد به. رغم هذا، فإنه لا ينكر أن البعد القبلي بارز في الجأر بالعداء لآل سعود. وإذا كانت القبيلة تمثل أحد الأسس التي جرى عليها بنيان المملكة الحديث، فإنها بالتعاضد مع (الدين) يقومان اليوم بدور نقض الدولة وإزالتها والتبرؤ منها رغم أنها منتج أولي لهما. والسبب أن السلفية الوهابية كما القبلية اللتان اتحدتا لصناعة الدولة، شعرتا بأن المنتج ليس هو ما كانا يتمناه، فالنظام ابتعد عن الدين كثيراً في الممارسة الداخلية والشخصية، والقبيلة لم تعد ترى منفعة في الولاء للنظام، أو أن هذا النظام لم يستطع تلبية متطلبات القبائل بعد أن همّشها وحطمها حين تمّ تخليق الدولة. إن شرعية النظام اليوم ليست موضع تساؤل، بل موضع تهديد جادّ.

غير أن الفقيه كمعارض نجح في التحريض، ورغم أنه أبدى إدارة جيدة من خلال التواصل عبر قناته مع بعض الفئات، إلاّ أنه ـ على الأرجح ـ لن ينجح فيما دعا إليه من إسقاط النظام عبر المظاهرات، أو ما سماه بالزحف الكبير (يوم ١٦/١٢/٢٠٠٤).. والسبب يكمن في النواقص التالية:

١ ـ إن تحشيد الشارع في مظاهرة لا يمكن أن يسقط نظاماً دموياً مثل النظام السعودي، ما لم تتوفر على الأرض البنية التحتية التنظيمة لذلك، والتي تطوّر من وسائل المواجهة وتقحم المزيد من الجمهور في العملية. باختصار بدون قيادة داخلية لا يمكن أن ينجح التحريض الخارجي وحده.

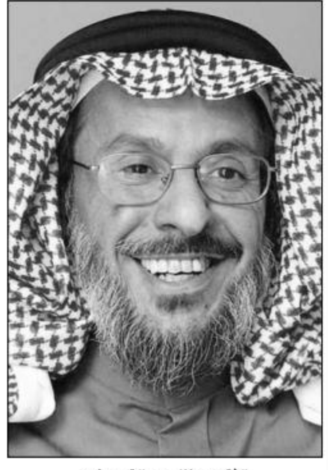
٢ ـ إن شخصية الفقية تكشف عن نزوع للزعامة، وهذا لا عيب فيه، وإنما العيب في أنه لم يستطع أن ينسق جهده مع جهات أساسية في الداخل لها جمهورها، ونعني بذلك: قيادات التيار السلفي الوسيطة أولاً، ثم النخب الليبرالية والمعارضة. وهؤلاء يريدون من الفقيه أن يكون محرضاً، ولكنهم لا يتمنونه زعيماً. بل ويستهجنون تصرفاته والألقاب التي استمرأها وهي تطلق عليه كأمير المؤمنين والإمام وغير ذلك مما قاله (المبايعون)!

٣ ـ المسألة الثالثة في هذا الشأن، هو أن الجمهور المؤيد للفقيه، إنما التفّ حوله لعدم وجود بدائل مماثلة أو مؤمنة بوسائله، ولأن الشارع متحفّز، وفي غياب القيادات الوسيطة، فإنها التفت حول الفقيه لا لكونه الأصلح، وإنما الأوحد. وحتى الآن فإن الإلتفاف يتجسد كلاماً، ما لم يثبت يوم (الزحف الكبير، كما يسميه). إن الحقد على آل سعود جماهيرياً هو الرصيد لأي معارضة، سواء كان الفقيه أو غيره، ولكن من الخطأ جداً إعطاء الشارع آمالاً كاذبة، وكأن النظام سيسقط بين ليلة وضحاها. لأن عدم تحقق ذاك في الوقت المعلوم، يفقد الفقيه رصيده الشعبي الذي بناه من خلال القناة. وللأسف فإنه لم يتأمل هذا الموضوع جيداً، وربما بسبب الغلو في الذات، الذي يجعل الجمهور قابلاً للكسر في اصطدامه مع مخبري وشرطة نايف.

من الأرجح أن تقوم مظاهرات، ولكن ليس بالحجم الذي يتمناه.

وحتى إذا قامت مظاهرات، فماذا ستفعل الحكومة؟ وما هو رد الفقيه حينئذ؟ وكيف يجعل من رد فعل الحكومة زاداً جديداً لمظاهرات صاخبة؟ وكيف يقنع بقية الشارع السعودي بمشروعه الذي أعلنه، وهو مشروع سلفي مؤدلج بصورة أو بأخرى؟

هذه اسئلة مؤجلة الى العدد القادم، بعد أن نرى ماذا تمخض عن الجبل.



الفقيه: ماذا بعد التحريض؟

موضوع الغلاف

الشيخ محمد بن عبد الوهاب: داعية وليس نبياً

الجذور الفكرية والعقدية لمنهج التكفير في السعودية

قراءة في كتاب (كشف الشبهات) للشيخ محمد بن عبد الوهاب

حسن بن فرحان المالكي

ظهر في زمن الشيخ محمد وبعده من أتباعه من يغالي في الشيخ غلواً كبيراً، ويتعصب لكل ما كتبه في رسائله وفتاواه؛ بل وحكمه على الأحاديث، وآرائه في الأمم والدول والأفراد وغير ذلك. ثم غلا هؤلاء حتى تركوا جزءاً كبيراً من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي كانت في ذم (الغلو في الصالحين)، فالغلو في الصالحين من المحاور الرئيسة التي كان الشيخ رحمه الله ينقدها، فأصبحت هذه المسألة المحورية من أساسيات العقيدة عند الغلاة من أتباع الشيخ محمد(١).

وساعد في غلوهم غلو الطرف الآخر؛ فأدى هذا الغلو من الخصوم لغلو مضاد من بعض أتباع الشيخ الذين اعتبروا كل من خطّأ الشيخ خصماً للدعوة الإصلاحية، ومن خصوم العقيدة السلفية، وقد يبالغ بعضهم ويجعل هذا من خصوم الإسلام!. إن خصوم الشيخ وغلوهم في تكفيره وتبديعه؛ ساعد التيار المغالي في أتباع الشيخ وتلاميذه بالظهور، والنطق باسم الدعوة، واحتكار الدفاع عن العقيدة السلفية، والغلو في ذم المخالفين، مع الغلو في الدفاع عن أخطاء الشيخ، فأصبح ما دعى إليه الشيخ مهجوراً من الخصوم والأتباع، على حد سواء إلا من رحم ربك(٢)، وهذا ظاهر في زمننا هذا، فلا تكاد تجد إلا غلواً في الشيخ أو غلواً ضده. وعلامة المغالي ضد الشيخ أنه لا يقبل إلا وصفه بكل سوء، كما أنه من علامة المغالي فيه أنه لا يقبل نقد الشيخ، ويستعظم تخطئته، وكأن تخطئته من علامات الردة عن الإسلام، فمن وجدتموه يعترف بأن الشيخ قد أخطأ أو عنده استعداد لقبول هذا فهو معتدل، ومن رفض الحديث في الموضوع فهو من الغلاة.

وقد تشوهت صورتنا ـ نحن طلبة العلم في المملكة– بأننا لا نعترف بأخطاء الشيخ، وأننا نعده معصوماً ولا نقبل النقاش في تخطئته والرد على ما أخطأ فيه، وأنه أصبح عندنا كأحد الأنبياء، وغير ذلك من الاتهامات التي يساعد على انتشارها بعض الغلو الموجود عندنا في الشيخ. فمن هنا جاءت هذه المراجعة لكتاب مشهور من كتب الشيخ محمد واسمه (كشف الشبهات) انطلاقاً من عدة أمور:

الأمر الأول: أن أي منجز بشري يحتاج من وقت لآخر للمراجعة والنقد، ولا عيب في هذا لا شرعاً ولا عقلاً.

الأمر الثاني: أن بعض الأخطاء التي وقع فيها الشيخ وخاصة في التكفير؛ قد أوقعت كثيراً من طلبة العلم فيها تقليداً أو مغالاة، داخل المملكة وخارجها.

الأمر الثالث: إحجام كل طلبة العلم في المملكة تقريباً عن بيان تلك الأخطاء؛ فأصبح بيانها (فرض عين) على كل طالب علم قادر.

الأمر الرابع: من حق كل طالب علم في المملكة أن يذب تهمة الغلو عن نفسه، وعن أبناء بلده فكثير من الناس يعرضون عن الأخوة الدعاة القادمين من المملكة؛ بحجة أنهم يكفرون المسلمين وأنهم يتمحورون حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ هذا معنى ما قرأته في بعض الكتب التي تنتقد غلونا في الشيخ، وهذا أيضاً معنى ما سمعته من بعض الأخوة الذين خرجوا للدعوة خارج المملكة نقلاً عن تصورات بعض المسلمين، وقد اشتكى هؤلاء الدعاة من الصدود والإعراض من الناس، وهذا الصدود والإعراض نتحمل جزءاً كبيراً من مسئوليته، وإن حاولنا أن نتغافل عن هذه المسئولية أو ننكرها.

إنني وجدت الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله – على فضله وأثره الدعوي الذي لا ينكره منصف – قد وقع في أخطاء أصبحت سنة متبعة عند بعض طلبة العلم؛ الذين أصبحوا يطلقون التكفير في حق علماء ودول وطلاب علم؛ بناءً على ما قرره الشيخ محمد في بعض كتبه ورسائله، وأصبح الواحد من هؤلاء يحتج بأن الشيخ كان يرى كفر هؤلاء العلماء، وكفر هؤلاء الحكام ؛ وكفر من هذه صفته... الخ. والتمسك بكلام الشيخ في هذا الأمور تمسك بالخطأ، والخطأ لا يجوز التقليد فيه. لكن بعض طلبة العلم لم يتنبه على مواضع هذا الخطأ، ويتهم العلماء المعتدلين بمجاملة غيرهم من العلماء والحكام في العالم الإسلامي، لأنهم لا يكفرونهم! بل وصل ببعضهم إلى تكفير العلماء والحكام جملة، سواء في هذه البلاد أو علماء وحكام المسلمين(٣) عامةً.

لماذا كشف الشبهات؟!

ركزت على كتاب كشف الشبهات ـ نموذجاً ـ مما كتبه الشيخ؛ لأن هذا الكتاب على صغره يتميز بالوضوح، وتلقين الحجج والبراهين، ولوضوح الأفكار فيه، ولانتشاره الواسع بين كثير من طلبة العلم وأثره الواضح فيهم.

الأمر الآخر: أن هذه القراءة هدفها بيان الملحوظات والأخطاء، فهي تراعي أبرز الملحوظات المحورية التي تفسر

انتشار التكفير في بعض كتب الشيخ وبعض كتب من بعده من علماء الدعوة. فكانت وظيفة هذا العمل أن أكشف (سر) وجود هذا التكفير وهذا السر كان عبارة عن (شبه من أدلة) من الشيخ.. وكانت نتيجة استدلال بضعيف أو القطع في أمور ظنية أو استدلال غير صحيح من دليل ثابت أو نحو هذا.

الملحوظات على كتاب كشف الشبهات (٤):

الملحوظة الأولى:

يقول الشيخ في الاستهلال ص٥: (اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده فأولهم نوح عليه السلام، أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً...). أقول: هذا الكلام أوله صحيح لكن آخره فيه نظر؛ فإن الله أرسل نوحاً إلى قومه ليدعوهم لعبادة الله وترك الشرك؛ فقد كانوا يعبدون هذه الأصنام؛ وليس فعلهم مجرد (غلو في الصالحين)؛ فهذه اللفظة واسعة وتحتمل - غالباً - الخطأ والبدعة عند إطلاقها، وقد يصل الغلو إلى الكفر وهو النادر، فتقبيل اليد قد يعتبر من الغلو والتبرك بالصالحين قد يعتبر غلواً... لكن هذا ونحوه يعد من الأخطاء أو البدع وليست شركاً، وإن تجوزنا في إطلاق الشرك على هذه الأفعال فهو شرك أصغر؛ وليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة. والشيخ محمد رحمه الله قال الكلام السابق ليدلل أن دعوته هي امتداد لدعوة الرسل؛ الذين بعثوا أو كأنهم لم يبعثوا إلا إلى قوم يغلون في الصالحين فقط! أو أكبر أخطائهم الغلو في الصالحين! وهذا غير صحيح فقد كانوا يشركون بالله ويعبدون الأصنام وفي هذا كفاية، لكن لأن الشيخ محمد كان خصومه يردون عليه بأن هؤلاء الذين تقاتلهم وتكفرهم أناس مسلمون؛ وقد يوجد عند عوامهم أو علمائهم غلو في الصالحين لكن هذا لا يبرر لك تكفيرهم ولا قتالهم، لما كانت هذه حجة خصومه استحضر هذا المعنى وكرره كثيراً في كتبه.

يجب أن يعرف القارئ الكريم أنني مع الشيخ رحمه الله في إنكار البدع والخرافات والأخطاء والممارسات التي يفعلها البعض كالغلو في الصالحين وتعظيم القبور والتمسح بها وما يصاحب ذلك من دعاء أو ذبح أو استشفاع أو توسل و..الخ. ولكن إنكاري لهذه البدع والخرافات وربما الشركيات في بعضها لا يجعلني أحكم على مرتكبها بالشرك والخروج من ملة الإسلام سواءً كان جاهلاً أو عالماً لأن الجاهل يمنعنا جهله من تكفيره، والعالم يمنعنا تأويله من تكفيره أيضاً. نعم قد يقال فلان ضال، فلان مبتدع، فلان منحرف.. فهذه التهمة خطرها يسير، إنما أن نقول: فلان كافر كفراً أكبر خارج عن ملة الإسلام! فهذه عظيمة من العظائم يترتب عليها أحكام ومظالم؛ فلا يجوز أن نتهم أحداً بالكفر إلا بدليل ظاهر لنا فيه من الله برهان؛ خاصة وأن الشيخ يريد بإطلاق الكفر الكفر الأكبر المخرج من الملة! فهذه نقطة من نقاط الافتراق الكبرى، وهي نقطة عظيمة بلا شك، لكن لا يجوز لأحد أن يرتب على نقدي للتكفير تسويغاً لهؤلاء؛ الذين يعتقدون تلك الاعتقادات، أو يمارسون تلك الشناعات، عند قبور الأنبياء والصالحين والصحابة وغيرهم.

نعود ونقول: كان الشيخ يُواجه من خصومه، بأن من تقاتلهم وتكفرهم مسلمون يصلون ويصومون ويحجون فكان الرد منه على هذه الشبهة – وهي شبهة قوية– حاضرة في ذهن الشيخ عند تأليفه الكتب أو كتابته الرسائل؛ فبالغ في تأكيده من باب ردة الفعل، كما هو ظاهر في العبارة السابقة، وتكرر عرضه لمحاسن كفار قريش وأصحاب مسيلمة والمنافقين في عهد النبوة والغلاة الذين قيل أن الإمام علياً حرقهم، فتكرر من الشيخ تفضيلهم على المسلمين في عصره من علماء وعامة! حتى يبرهن أنه لم يقاتل إلا أناساً أقل فضلاً من كفار قريش والمنافقين وأصحاب مسيلمة! وهذا خطأ بلا شك، مع ما في مقارناته التي يكتبها بين هؤلاء وهؤلاء من أقيسة تهمل فوارق كبيرة، فلذلك تجد استهلاله السابق ينبئ عن قلقله من الشبهة القوية التي كان الخصوم يواجهونه بها. وكان الأولى أن تكون عبارته كالتالي: (..أولهم نوح عليه السلام الذي أرسله الله إلى قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام، وعبادة الأصنام هذه كانت بداياتها غلو في الصالحين حتى وصل هذا الغلو - مع طول الأمد – للعبادة المحضة لغير الله، فأنا أدعوكم بتجنب الغلو في الصالحين، حتى لا تصلوا لما وصل إليه هؤلاء المغالون؛ فأنا أخشى أن يصل الأمر بكم أو بذريتكم إلى عبادة هؤلاء الصالحين كالبدوي وعبد القادر الجيلاني والشاذلي وغيرهم...). أقول: لو كانت عبارته هكذا أو نحو هذا لكان أصح وأفضل وأبعد عن الغلو المضاد أو اعتساف الاستدلالات، فتنبه لهذا.

الملحوظة الثانية:

وقوله أيضاً في استهلاله ص٥-٦: (وآخر الرسل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله..)!. أقول: هكذا يرسم الشيخ سامحه الله صورة جميلة وغير صحيحة عن كفار قريش ليبني على ذلك تكفير مسلمين (يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله..!!)، وهذا قياس مع الفارق الكبير كما سبق شرح ذلك وسيأتي. ثم ذكر الصفة التي من أجلها قاتل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الكفار وقاتل محمد بن عبد الوهاب المسلمين فقال: (لكنهم - يعني كفار قريش – يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله!) يعني فجاز قتالهم ويجوز لنا نحن قتالهم للسبب نفسه (٥)!.

سبحان الله، كفار قريش الذين لا يقولون (لا إله إلا الله) ولا يؤمنون بيوم القيامة ولا البعث ولا جنة ولا نار ولا يؤمنون بنبي ويعبدون الأصنام ويقتلون ويظلمون ويشربون الخمور ويزنون ويأكلون الربا ويرتكبون المحرمات مثلهم مثل المسلمين المصلين الصائمين الحاجين المزكين المتصدقين المجتنبين للمحرمات والفاعلين مكارم الأخلاق (أفنجعل المسلمين كالمجرمين، مالكم كيف تحكمون)؟!

لا، ليسوا سواء، المسلمون ليسوا كالكفار حتى وإن تأول علماؤهم وجهل عوامهم فالتأويل والجهل باب واسع لكن لا يساوى فيه من يقوم بأركان الإسلام مع من ينكرها. ولا يتساوى من يؤمن بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نبياً ورسولاً ومن يكذبه ويظنه ساحراً أو كاهناً، ولا يتساوى من يتوسل بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويتبرك بالصالحين - وإن أخطأ– مع من يرجم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقتل الصالحين. لا يتساوى من يؤمن باليوم الآخر والجنة والنار مع من يقول (إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا..). لا يتساوى من قال: (لا إله إلا

الله) مع من قال: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً). لا، لا يتساوى من آمن ومن كفر؛ من صدق الرسل ومن كذبهم، من آمن بالبعث ومن كفر به. لا يتساوى من طلب شفاعة الأنبياء والصالحين ممن يطلب شفاعة الجماد. لا يتساوى ممن يطلب شفاعة الأنبياء وهو يعرف أنهم عبيد الله ممن يطلب شفاعة الأصنام ويجعلهم مشاركين لله في الألوهية.

لا يا شيخنا - رحمك الله – هناك فرق كبير بين هؤلاء وهؤلاء. وأقول للأخوة المختلفين معي في هذه المسألة:

معظم علماء المسلمين في عهد الشيخ محمد وفي أيامنا هذه يقولون بجواز التبرك بالصالحين (٦) والتوسل بهم، فهل نحن اليوم نكفر جميع هؤلاء؟! أم نخطئهم فقط؟! بل ليت التخطئة بدليل وبرهان. إن قلتم: نحن نكفرهم ردَّ عليكم العلماء المعاصرون داخل المملكة وخارجها واتهموكم بالغلو في الدين وتكفير المسلمين! وإن قلتم: لا، نحن لا نكفرهم رددتم على الشيخ محمد بن عبد الوهاب تكفيره لهم لأنه كان يكفر علماء وعوام مثل علماء زماننا وعوامهم تماماً، ولن يخرج مقلدو الشيخ من هذه الإلزامات، وإن تكلفوا التفريق بين المسلمين (من العلماء والعوام) الذين كانوا في عهد الشيخ محمد وبين المسلمين (من العلماء والعوام) اليوم؛ كان التفريق بين كفار قريش وبين هؤلاء العلماء والعوام أكثر وضوحاً وظهوراً!.

نعم، لأن كل ما أنكره الشيخ محمد رحمه الله على علماء عصره من التوسل بالصالحين أو التبرك بهم أو الاستشفاع بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو زيارة القبور أو ترك الإنكار العلني على العوام والحكام.. الخ، لا زال إلى اليوم في علماء مصر والشام والحجاز واليمن والعراق والمغرب.. الخ فضلاً عن عوامهم. فأنتم إذا كفرتم هؤلاء لزمكم الرد على علمائنا الذين لا يكفرونهم، فإذا بلغ علماءنا ردكم ولم يكفروهم لزمكم تكفير علمائنا؛ لأن من قواعد الدعوة السلفية في كتابات كثير من علماء الدعوة أن (من شك في كفر الكافر فهو كافر)!.

الملحوظة الثالثة:

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٧: (وإلا فهؤلاء المشركون - يعني كفار قريش– يشهدون أن الله هو الخالق وحده، لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيها، كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره..) ثم سرد الآيات في ذلك. أقول: هنا أيضاً رسم صورة زاهية للمشركين؛ ولم يذكر تكذيبهم بالبعث، ولا اعتقادهم أن الذي يهلكهم هو الدهر، ولا اعتقادهم انهم يمطرون بنوء كذا وكذا، ولا أكلهم الربا، وقتلهم النفس، ودفنهم البنات ولا غير ذلك من المظالم والجرائم؛ ولا وصفهم للنبي صلى الله عليه وآله سلم بأقبح الأوصاف وتكذيبهم له، وتعذيبهم المسلمين وقتلهم المستضعفين. فالشيخ محمد أخذ الآيات التي تدل على إيمانهم على وجه الجملة بأن الله هو الخالق الرازق.. مع أن هذه الاعترافات التي اعترف بها المشركون؛ قد أجاب عنها بعض العلماء؛ وذكروا أن المشركين إنما اعترفوا بها من باب (الإفحام والانقطاع)، وليس من باب الاقتناع، ولو كانوا صادقين في اعترافهم؛ لأتوا بلوازم هذا الاعتراف؛ فلذلك يأمر الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يذكِّرهم بلوازم هذا الاعتراف كما في قوله تعالى: (فقل: أفلا تتقون) (قل: أفلا تذكرون)؟!... الخ.

فكأن الله عز وجل يوبخهم بأنهم كاذبون، وأنهم لا يؤمنون بالله عز وجل خالقاً ورازقاً، كما لا يستطيعون في الوقت نفسه أن يقولوا أن الأصنام هي التي خلقت السماوات والأرض!! فبقوا بين الاعتراف بالقول (انقطاعاً) وممارسة ما يخالفه واقعاً، وهذا الجواب الذي أجاب به بعض العلماء إن كان ضعيفاً فأضعف منه الزعم بأن كفار قريش أفضل من المسلمين في عصر الشيخ.

والحاصل: أنه لا يجوز للشيخ رحمه الله ولا لغيره أن يذكر فضائل الكفار ويهمل أخطاءهم، بينما يختار أخطاء المسلمين وينسى فضائلهم! ولا يجوز أن نختار الآيات التي قد نوهم بها العوام - ولو دون قصد – بأن فيها ثناء على الكفار، ونترك الآيات التي تذمهم وتبين كفرهم وظلمهم وتكذيبهم بالبعث... الخ. لا يجوز أن نقوم بكل هذا حتى نسوغ به قتالنا للمسلمين الركع السجود؛ بزعمنا أنهم مثل الكفار تماماً الذين (يصلون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله..)؟! وأننا نقوم بعمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه! فهذا غير صحيح، والاعتراف بالخطأ خير من التمادي في الباطل، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن رضي المعصية كان كمن شهدها وشارك فيها أو قريب من ذلك، فلنتق الله ولا تخدعنا القوة والكثرة عن ديننا، ولا نغتر بكثرة المناصرين في الباطل، فإن هؤلاء لا يملكون جنة ولا ناراً، ولعل الشيخ الآن أحوج إلى استغفارنا من حاجته إلى نصرة الأخطاء التي وقع فيها، لكننا نغتر بالكثرة والغوغاء.

ثم على هذا المنهج العجيب في المقارنة بين (فضائل الكفار) و(أخطاء المسلمين)؛ يمكننا أن نقول: كيف نقاتل اليهود؟! وهم يصدقون في القول، ويحترمون العدالة، ويوزعون الأموال بالسوية، ويؤمنون بالله، ويحترمون المقدسات، ويحترمون حرية الرأي،..الخ! ونترك قتال المسلمين الذين يظلمون؟! ويتعاملون بالربا؟ ويكذبون؟ ويخلفون المواعيد؟ ويخونون في الأمانات؟ والذين يجيزون التوسل و يتبركون بالصالحين؟.. الخ. وهكذا فإن ذكرنا محاسن موجودة عند اليهود؛ وتناسينا مساوئهم وعكسنا القضية في حق المسلمين؛ تصبح المسألة ملتبسة، وأصبح قتال المسلمين أولى من قتال اليهود المحتلين(٧)!.

الملحوظة الرابعة:

ويقول الشيخ ص٩: (فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا – يقصد بأن الله هو الخالق الرازق–.. ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، عرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو (توحيد العبادة)، الذي يسميه المشركون! في زماننا (الاعتقاد) !!) اهـ. أقول: سامح الله الشيخ محمد ففي هذا النص تكفير صريح لعلماء المسلمين في زمانه!. ثم إن المسلمين لا يعبدون إلا الله بخلاف هؤلاء المشركين؛ الذين يسجدون للأصنام؛ وإذا لم يكن هذا واضحاً؛ فلن نستطيع التفريق بين أمور أخرى أشد التباساً، ومن تلك الأمور الملتبسة اتهام بعض العلماء للشيخ محمد وأصحابه بأنهم خوارج؛ لأنهم عندهم ممن يكفرون المسلمين ويستبيحون دماءهم، أنهم يخرجون من قبل المشرق، وأن سيماهم التحليق و... الخ. فإذا كانت التسوية بين الخوارج والوهابية ظلماً؛ فالتسوية بين كفار قريش والمسلمين أكثر ظلماً، وأبعد عن الحق، وإن كان الشيخ معذوراً في تفضيل كفار قريش على علماء زمانه؛ فالذي يجعل علماء الدعوة من الخوارج أولى بالعذر؛ لأن الخوارج مع هذا

مسلمون على الراجح، ولم يكفرهم الصحابة بينما كفار قريش لا يشك أحد في كفرهم.

الملحوظة الخامسة:

قوله ص٩ في وصف محاسن كفار قريش وغيرهم: (كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً! ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم إلى الله ليستغفروا له، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات! أو نبياً مثل عيسى وعرفت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قاتلهم على هذا الشرك! ودعاهم إلى إخلاص العبادة... فقاتلهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكون الدعاء كله لله والنذر كله والذبح كله لله والاستغاثة كلها بالله وجميع العبادات لله...الخ) أهـ أقول: الكفار لم يكونوا يدعون الله ليلاً ونهاراً! وإنما كانوا يذكرون هبل واللات ومناة، ولو كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً لما نهى الله نبيه عن (عبادة الذي يدعون) كما في قوله تعالى: (قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله..)(٨)، وقال تعالى واصفاً حال الكفار ساعة الموت: (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا: أين ما كنتم تدعون من دون الله..)(٩)؟! وقال (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم..)(١٠)، وقال عن الكفار: (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين ندعو من دونك..)(١١) وغير ذلك كثير من الآيات التي لم أشأ تتبعها، وهي تخبر عنهم بخلاف ما أخبر الشيخ، بأن أكثر دعاؤهم هو للأصنام وليس كما يقول الشيخ من أنهم (يدعون الله ليلاً ونهاراً)! إضافة إلى أنهم لم يكونوا يدعون الله بإخلاص إلا في الشدائد.

ولو كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً – كما وصفهم الشيخ – لغبطهم عليه زهاد الصحابة! فهذه صورة من الصور الكثيرة الجميلة التي يمدح فيها الشيخ كفار قريش، ليس حباً فيهم؛ ولكن ليقارن بينهم وبين مسلمي عصره؛ ثم ليبني على تلك المقارنة الناقصة تفضيلهم على المسلمين، ثم البناء على هذا كله تكفير المسلمين وقتالهم (١٢). والذي يجب أن يصحح هنا أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قاتل الكفار، لأمور كثيرة أهمها الشرك الأكبر بالله وإخراج المسلمين من ديارهم وإنكارهم النبوة وارتكابهم المظالم.. الخ. فتعليل الشيخ محمد ناقص وهذا النقص في التعليل أدى إلى قتال مسلمين (يصلون و يحجون و يذكرون الله)!. ثم لم يرد في القرآن الكريم أن علة قتال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للكفار حتى يكون الذبح كله لله والنذر كله لله والاستغاثة كلها بالله.. فقط. وإنما الأسباب الكبرى الرئيسة هي : الشرك الأكبر وإنكار النبوة وإخراج المسلمين من ديارهم..الخ. فالشيخ يذكر أسباباً صغيرة مشتبهة لم تذكر في النصوص وليست متحققة ولا يُدرى أهي سبب في القتال أم لا؟! ويترك الأسباب الكبرى المتفق عليها والمنصوص عليها في القرآن الكريم بأنها هي سبب قتال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للكفار.

الملحوظة السابعة:

ثم يواصل ص١١ بقوله: (لم يريدوا أن الله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون بالله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد!) أهـ أقول: هذا أيضاً فيه تكفير صريح للمسلمين في زمانه فالسيد يطلقها كثير من الناس في القرون المتأخرة إلى اليوم على أهل البيت، وإطلاقها ليس كفراً ولا حراماً، نعم قد يكون مكروهاً، والحديث الوارد في النهي فيه نزاع قوي، وإن كان أهل نجد أو الحجاز يطلقون السيد على الذي يتبركون به ويطلبون منه الدعاء فهذه بدعة قد تكون كبرى وقد تكون صغرى بحسب الحالة لكنها ليست كفراً، ثم ليس صحيحاً على إطلاقه ما ذكره الشيخ من أن المشركين كلهم كانوا يعلمون أن الله هو الخالق الرازق.. فهذا متحقق في بعض الكفار لا كلهم؛ فالدهريون مثلاً لا يؤمنون بهذا بنص القرآن الكريم.

الملحوظة الثامنة:

قوله ص١١: (فأتاهم النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعوهم إلى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها..) أ.هـ أقول: لكن مجرد التلفظ بها ينجيهم من التكفير والقتل بينما من يقولها من معاصري الشيخ لا تعصمهم من تكفير ولا قتال ، فالمنافقون في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) يقولون الشهادتين بألسنتهم، وكان النبي (ص) يعرف ذلك في كثير منهم؛ ومع ذلك عصمت دماءهم وأموالهم، أما المعاصرون للشيخ من المسلمين فلم تعصم دماءهم و أموالهم لا الشهادتان ولا أركان الإسلام.. مع صدقهم في ذلك.

الملحوظة التاسعة:

ويقول ص١٢: (فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة، بل يظن (يعني المدعي للإسلام) أن ذلك (يعني تفسيرها) هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني)؟! أهـ. أقول: هذا غير صحيح؛ فليس هناك مسلم واحد يقول إن معنى (لا إله لا الله) هو التلفظ بها دون اعتقاد القلب لذلك. والمسلمون جميعهم علماؤهم وعوامهم، يمقتون في المسلم أن يقول ما لا يعتقد، بل حتى العوام يسمون هذا (نفاقاً)، وهم يذمون من يخالف قوله فعله، بل حتى الكفار يذمون من يخالف قوله فعله.. فكيف يظن الشيخ هذا الكلام – سامحه الله ـ أن المسلمين في عصره يقولون بجواز أن نشهد الشهادتين بلا اعتقاد لمعانيها، فنقول (لا إله إلا الله) ونعبد غيره، (ونقول: محمد رسول الله) ونعتقد كذبه؟! فالمسلمون في عهد الشيخ مثل المسلمين اليوم في البلاد الإسلامية، فهل يجوز لنا أن نقول اليوم: إنهم يقولون: (نقول: الشهادتين باللفظ فقط وسننجو حتى وإن اعتقدنا خلافها)؟! نعم لهم شبه وأدلة يستجيزون بها التوسل والاستشفاع والاستغاثة ونحو ذلك، وهذا خطأ بلا شك عندنا في ذلك، لكن هم عندهم شك، بل هم لا يرون هذا متناقضاً مع الشهادتين، ولهم في ذلك مؤلفات وأدلة وشبهات وتأويلات، مثل تأويلاتنا وشبهاتنا؛ في تكفير المسلمين ومدح كفار قريش وتفضيلهم على المسلمين!! وهم يصرون على عقائدهم مثل إصرارنا؛ ويتهمون ناصحيهم بالعمل لصالح الوهابية، مثلما نتهم ناصحينا بالقبورية والعمل لصالح الصوفية والشيعة، وستبقى نظرية المؤامرة والتشكيك في نيات الآخرين حاضرة في حواراتنا، ما دام الغلو والغلو المضاد لهما حضورهما في هذه الحوارات ولن يقطع هذا إلا المباهلة. ثم كيف يجعلهم ممن (يدعي الإسلام)؟! يعني وليسوا مسلمين!! وهذا تكفير آخر فتنبه!!

الملحوظة العاشرة:

ثم يقول ص١٣: (والحاذق منهم – يعني ممن يدعي الإسلام من علماء المسلمين!– يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله)! ثم يتبع هذا بقاصمة وهي (فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه

بمعنى لا إله إلا الله)؟!. أقول: سبق الجواب بأن علماء المسلمين في زمانه لا يفسرون الشهادتين كما ذكر هنا ـ فيما أعلم – نعم لهم تأويل بأن التبرك والتوسل لا يناقضها وهذا شيء آخر. لكن أن يأتي عالم ويزعم أن (لا إله إلا الله) ليس معناها إلا (لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله) مع جواز صرف العبادة لغيره فلا أظن عالماً عاقلاً يقول هذا، ومن زعم هذا فعليه الدليل والبرهان.

الملحوظة الحادية عشرة:

ذكر ص١٥،١٦: أن أعداء التوحيد قد يكون عندهم علم وحجج وفصاحة ... وهذا إقرار منه بأنه يتحدث عن معارضيه من علماء عصره في نجد والحجاز والشام(١٣) .. معهم علم وفصاحة وقبل هذا ينفي أنهم لا يعرفون معنى لا إله إلا الله!

الملحوظة الثانية عشرة:

ويقول ص١٧: (والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين)! أقول: هذا تكفير واضح لعدد كبير من العلماء ويستحيل في العادة أن يوجد مثل هذا العدد من العلماء الكفار في بلد واحد؛ فاعرف هذا فإنه مهم وهو من أدلة من يتهم الشيخ بتكفير من لم يتبعه!! والشيخ وأتباعه يقولون : معاذ الله أن نكفر المسلمين لكن هذا المسلم عند الشيخ له شروط طويلة يختلف فيها مع العلماء قبل العوام ولا تكاد تنطبق إلا على من يقلده ويتبعه – كما سيأتي مدعماً في الأمثلة القادمة– فالخلاف يكاد يكون لفظياً فقط!!

الملحوظة الثالثة عشرة:

ويقول ص١٩: (وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا...)!!.أهـ أقول: يا ترى من هم هؤلاء المشركون الذين يغوصون في أدلة الكتاب والسنة مع فصاحة وعلم وحجج...؟! أليسوا علماء مختلفين معه في دعوى كفر مخالفيه من علماء وعوام؟ لا ريب أن هذا فيه تكفير صريح للمخالفين له ممن نسميهم (خصوم الدعوة) أو (أعداء التوحيد) أو (أعداء الإسلام)!! وهذا ظلم، لأن الشيخ كان يرد على مسلمين ولم يكن يرد على كفار ولا مشركين، وهذه رسائله وكتبه ليس فيها تسمية لمشرك ولا كافر وإنما فيها تسمية لعلماء المسلمين في عصره كابن فيروز، ومربد التميمي، وابني سحيم سليمان وعبد الله، وعبد الله بن عبد اللطيف، ومحمد بن سليمان المدني، وعبد الله بن داود الزبيري، والحداد الحضرمي، وسليمان بن عبد الوهاب، وابن عفالق، والقاضي طالب الحميضي، وأحمد بن يحي، وصالح بن عبد الله، وابن مطلق، وغيرهم من العلماء الذين يطلق عليهم (المشركون في زماننا)!! و قد استمر علماء الدعوة بعده في تكفير أو تبديع يكاد يصل للتكفير لعدد آخر من علماء المسلمين ـ أخطأوا ولم يكفروا– في عهد الدولة السعودية الثانية كابن سلوم وعثمان بن سند وابن منصور وابن حميد وأحمد بن دحلان المكي وداود بن جرجيس وغيرهم. وفي القرن الرابع عشر الهجري استمر تكفيرنا وتبديعنا لعلماء معاصرين ـ أخطأوا ولم يكفروا – كالكوثري، والدجوي، وشلتوت، وأبي زهرة، والغزالي، والقرضاوي، والطنطاوي، والبوطي، والغماري، والكبيسي، وغيرهم، ولو نستطيع لقلنا عنهم (المشركون في زماننا) وقد قيل!

ومن المؤسف أنه لا يوقف تكفيرنا وتبديعنا للآخرين إلا السلطة أو العجز، ولولاهما لما أبقينا أحداً إلا وصمناه بكفر أو بدعة مكفرة! مع أن الواجب أن يكون هذا التورع عن التكفير والتبديع من العلماء لا من الحكام، ولا وقت العجز، لأن العلماء يعرفون عظمة حق المسلم وتحريم دمه وماله وعرضه، فهي آخر ما أوصى به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع، فهذه الخطبة التي بثها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مائة ألف من المسلمين؛ يحفظها بألفاظها العلماء لا الحكام، فكان الأولى والأجدر بهم حفظ ورعاية هذه الوصية النبوية الكبرى.

الملحوظة الرابعة عشرة:

قوله ص١٢ مخاطباً أحد العلماء المختلفين معه: (وما ذكرتَ لي أيها المشرك!! من القرآن أو كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) لا أعرف معناه)! أقول: يا ترى من هذا المشرك الذي يستدل على الشيخ بالقرآن والسنة؟! أي مشرك هذا؟! ثم هذا تكفير للمعين فتنبه.

الملحوظة الخامسة عشرة:

ويقول ص٢٣: (فإن أعداء الله (هكذا!) لهم اعترافات كثيرة يصدون بها الناس منها قولهم نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عليه السلام لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله بهم فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله (ص) مقرون بما ذكرت ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً وإنما أرادوا الجاه والشفاعة...) أهـ أقول: هذا يدل على أن الشيخ يرى تكفير هؤلاء الذين يقولون القول السابق، وأنه يعتبرهم مشركين شركاً أكبر؛ كشرك كفار قريش وهذا عين التكفير، وأكبر أحوالهم أن يكونوا مبتدعين فقط، والمبتدع لا يجوز تكفيره فضلاً عن قتله، وكل المبتدعين المقتولين عبر التاريخ إنما كانوا مقتولين لظروف سياسية بحتة؛ يدركها من درس التاريخ(١٤).

الملحوظة السادسة عشر:

قوله ص٢٤: (فإنه إذا أقر ـ يعني المخالف للشيخ – أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله!! وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ولكن أرادوا أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره (من صلاتهم وصلاحهم بخلاف الكفار) فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الصالحين ومنهم من يدعو الأولياء...) أهـ أقول: الكفار لا يؤمنون ببعض الربوبية، ولا بالألوهية كلها، وهم يعبدون الأصنام ذاتها، ولم يقتصروا على الطلب (طلب الشفاعة فقط)، بل قولهم قالوه انقطاعاً لا اعتقاداً، أو أنه قول بعضهم فقط، لأنه ثبت عن بعضهم على الأقل أنهم يقولون بالدهر ولا يؤمنون بالبعث. أما المسلمون فإنهم لا يسجدون لأحد غير الله، ولا يعبدون إلا الله، وقد يجهل بعضهم أو يتأول بأن الصالحين من الأحياء والأموات، يجوز التوسل بهم وطلب شفاعتهم عند الله، وأنهم إن دعوا لهم فإنهم ينفعونهم بإذن الله لا استقلالاً عن إرادة الله (١٥) وهذا يختلف كثيراً عن هؤلاء الكفار. والحاصل أن التشابه بين الكفار والمسلمين المعاصرين ـ إن سلمنا به – أبعد بكثير من التشابه بين الخوارج واتباع الشيخ، فالتشابه بينهم من التكفير والتحليق واستحلال الدماء... الخ أكبر وأظهر. وحجة الخوارج على علي رضي الله عنه هي قريبة من حجة الوهابية على مخالفيهم، فالخوارج قالوا بوجوب صرف

الحكم كله لله (لا حكم إلا لله)!! وهي كلمة حق أريد بها باطل مثلما ظن الوهابية من قولهم (لا ذبح إلا لله ولا توسل إلا بالله ولا استغاثة إلا بالله.. الخ). فهذا حق من حيث الأصل لكن قد تكون هناك صور في التطبيق تخرج عن هذا الإطلاق؛ وأقل الأحوال أن تكون هناك ممارسات خاطئة للإطلاقات السابقة، يفعلها البعض بتأويل أو جهل، فهذه الممارسة لا يكفر صاحبها إلا بعد ارتفاع موانع التكفير وقيام الحجة.

الملحوظة السابعة عشر:

قال ص٢٦: (فإن قال ـ يعني المخالف للشيخ – الكفار يريدون منهم (من الأصنام) وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم فالجواب: أن هذا قول الكفار سواءً بسواء!!)! اهـ أقول: الذي يقول الكلام السابق لا يكفر؛ لأنه متأول أو جاهل، وكونه يتفق مع الكفار في جزئية يسيرة لا يعني مساواته بالكفار أو أن لهما الحكم نفسه (١٦). بمعنى لو أقسم أحد بغير الله، فقد شارك الكفار في جزئية يسيرة، لكن لا يكفر بسببها، فالشيخ غفل عن مثل هذه الدقائق؛ فوقع في تكفير المسلمين، فتركيز الشيخ على آية (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)، التي هي – فيما يظهر – حكاية عن انقطاعهم واعتذارهم الذي لا يصاحبه صدق نية، وإغفاله لبقية الآيات في وصف الكفار وعقائدهم، فيه نقص في استيفاء مواطن اختلاف الكفار عن المسلمين. ثم طلب الشفاعة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والصالحين مع اعتقاد أنهم جميعاً عبيد الله، وأنهم لا يعطون شيئاً إلا بإذن الله، هذا كله ليس كالسجود للأصنام، وإن كان خطأً أو بدعة صغرى أو كبرى، ولذلك يستطيع مخالف الشيخ أن يلزمه تكفير شارب الخمر، لأنه لا يشربها إلا وهو يحبها والمحبة عبادة، وصرف شيء من المحبة لغير الله شرك وهكذا..

وإن قلتم: نحن لا نعترض على محبة الصالحين وإنما نعترض على عبادتهم. قيل لكم: هؤلاء لا يعبدونهم وأنتم تسمون توسلهم بالصالحين عبادة وهم لا يقرون لكم بأن هذه عبادة ولهم أدلة في ذلك ـ على ضعفها – لكنها تمنع من تكفيرهم فهذا هو التأويل الذي ذكر العلماء أنه يمنع من التكفير. فإن قلتم: التوسل عبادة. قالوا: ما دليلكم على ذلك؟ فإن قلتم: لم يفعله السلف؟ قالوا: قد فعله عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب. فإن قلتم: عمر توسل بالحي لا بالميت. قالوا: وهل تجوز عبادة الحي؟ إن قلتم: لا؟ قالوا: فلماذا تسمون (التوسل) عبادة؟! هذا دليل على أنكم تسمون الأشياء بغير اسمها. فإن قلتم: التوسل بالميت عبادة بخلاف الحي. قالوا لكم: ما دليلكم على التفريق؟ فإن قلتم: دليلنا فعل الصحابة فإنهم فعلوا هذا ولم يفعلوا ذلك. قالوا لكم: – على التسليم لكم – فإنهم قد يتركون أمراً ولا يكون محرماً فضلاً عن كونه كفراً مخرجاً من الملة؟! ثم عندنا أدلة في توسل بعضهم بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ميتاً، كما في حديث عثمان بن حنيف المشهور. فإن قلتم: هذا عندنا ضعيف. قالوا لكم: وأكثر الأحاديث التي تستدلون بها هي عندنا ضعيفة، بل هي ضعيفة عند التحقيق، مثل حديث تقريب الذباب وحديث شرك آدم وحواء، وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة الموجودة في كتبكم. فإن قلتم: الأولى تجنب التوسل للشبهة والاختلاف. قالوا لكم: أولى من ذلك تجنب تكفير المسلمين وتفضيل كفار قريش عليهم لأن الأصل المتيقن هو الإسلام لا الشرك، فلا نترك المتيقن للمظنون. فإن قلتم: التشديد لا بد منه ليهتدي المسلمون لدين الله ويحذروا تلك البدع والخرافات. قالوا لكم: والرد عليكم لا بد منه ليحذر طلاب العلم من الوقوع في تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم. فإن قلتم: تعالوا للتحاكم لكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وترك التقليد. قالوا لكم: مرحباً وأهلاً فقد قلنا لكم هذا من زمن طويل وأنتم ترفضون، و تستعدون علينا السلطات، ولم تنتهوا عن تكفير الأبرياء حتى كفر بعضكم بعضاً، و تظالمتم فعرفتم عندئذ مقدار ظلمكم لنا في الماضي، وتعرفتم على بعض ما كنا نستدل به في براءتنا من الكفر، لأنكم ذكرتم أدلة في الرد على من يكفركم كنا نكررها في الرد على تكفيركم لنا، فاعتدالكم في الأزمنة الأخيرة للأسف كان لمصلحة أنفسكم وحمايتها لا حماية جانب الشريعة .

الملحوظة الثامنة عشر:

قوله ص٣٣: (ولا يشفع ـ النبي صلى الله عليه وسلم – في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال عز وجل (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)!!... ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد).أهـ أقول: على هذا يمكن أن يقال ما قاله بعض المتحاورين مع الشيخ من أنه بناء على هذا الكلام فلن يدخل الجنة في زمن الشيخ إلا أهل العيينة وأهل الدرعية! ففي كلام الشيخ السابق تكفير ضمني لكل من يرى التوسل بالصالحين أو طلب الشفاعة منهم، وهم جمهور من علماء المسلمين وعامتهم في ذلك الوقت وفي زماننا أيضاً. وهنا أتذكر صدق كلمة قالها أحد معارضي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله عندما قال ما معناه: (النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه سيأتي مفاخراً بقومه يوم القيامة وعلى كلام هذا ـ يقصد الشيخ محمد – سيأتي نبينا (صلى الله عليه وسلم) وليس معه إلا نفر من أهل العيينة)!! أهـ ذكر هذا عنه الدكتور عبد العزيز بن عبد اللطيف في كتابه (دعاوى المناوئين). والدكتور عبد العزيز وفقه الله رد على الكلام السابق ولم يتنبه للوازم كلام الشيخ محمد هنا عندما حرَّم الشفاعة على غير أتباعه الذين سماهم (الموحدين) بحجة أن غير هؤلاء ليسوا مسلمين (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)! فالمسلمون في العالم الإسلامي ـ سوى أتباع الشيخ بنجد وملحقاتها – يكونون عند الشيخ قد ابتغوا غير دين الإسلام!.

وهذا أمر في غاية التكفير والخطورة لأن العالم الإسلامي فيه هذه البدع والخرافات من زمن طويل، وفيه العلماء المتأولون والعوام الجهلة ولكن لا يجوز لنا أن نقول بكفرهم، فالذين أدركهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هم المسلمون أنفسهم الذين تباكينا عليهم من هجمات الصليبيين في الشام، وغزو المغول في المشرق، واضطهاد الفرنجة في الأندلس... أما على كلام الشيخ رحمه الله فلا داعي للبكاء لأن هؤلاء مشركون متبعون غير دين الإسلام فلماذا البكاء؟! وهذا التكفير لم يكن يوجد عند الشيخ ابن تيمية ـ مع أخطاء وقع فيها – فقد كان ابن تيمية في زمن يشبه زمن الشيخ محمد من انتشار الجهل عند العوام وضعف العلماء في دعوة الناس إلى التوحيد الصافي؛ لكن ضعف هؤلاء وجهل هؤلاء لا يبيح لنا إلا وصفهم بالتقصير والجهل والإثم ويكفي،

أما أن نطلق عليهم الكفر المخرج من الملة؛ فالتكفير أمره عظيم وإخراج هذه الشعوب من دين الله أمره أشد وأعظم. بل إن بقايا الخوارج أنفسهم في الأزمنة المتأخرة لا أظن أنهم كفروا العوام أو استحلوا دماءهم، كما فعل الشيخ رحمه الله وأتباعه - بفتاوى منه – في العلماء والعوام.

قتال المسلمين لا يجوز لمجرد وجود بدع وخرافات، لأن القتال لا يجوز إلا بنص شرعي، أما بلا نص فارتكابه أسوأ من تلك البدع والخرافات. والشيخ محمد رحمه الله ربما لو لم يقاتل المسلمين، واكتفى بمراسلة العلماء يحثهم على الدعوة إلى الله؛ ربما لو فعل هذا لجاءت النتيجة نفسها ولو متأخرة، ولتجنبنا مآسي التكفير من ذلك الزمن إلى عصرنا هذا الذي يعتمد فيه المكفرون على فتاوى الشيخ وعلماء الدعوة في تكفير المسلمين. وإن كان سيد قطب رحمه الله قد بالغنا في نقده لأننا وجدنا في (متشابه) كلامه ما يوحي بالتكفير؛ فإن الشيخ محمد قد وجدنا التكفير في (صريح) كلامه لا متشابهه (١٧)! فجعلنا سيد قطب كبش فداء لأنه ليس له أنصار عندنا وللشيخ أنصار! وهذا ليس من أخلاق طالب العلم الذي يقول الحق ولو على نفسه، ولا يحمل المسئولية الأبرياء.

وهذا يدعونا لنقد عبارات الشيخ مع الاعتراف بفضله علينا، لكن الضرر في كتبه وإن رآه البعض يسيراً فإنه في الوقت نفسه خطير للهالة العظيمة الموجودة حول الشيخ رحمه الله، والمشكلة الكبرى عندنا أن فتاوانا اليوم في التكفير تخالف الشيخ تماماً، لكننا نجبر الناس على الإيمان بفتاوى الشيخ التي تحمل توسعاً في التكفير، والإيمان بفتاوانا التي كان يراها الشيخ (إرجائية) والتي تتفق مع فتاوى خصوم الشيخ في الرد على التكفير!! وهذا جمع بين المتناقضات(١٨). ولو أننا قلنا: إن الشيخ اجتهد في التكفير فأخطأ لزال كل هذا التناقض، ولم ينقص دين ولا دنيا ولا مكانة، فالدين لا يهتز لتخطئة أمثال عمر وعلي رضي الله عنهما، فكيف يهتز لتخطئة ابن تيمية أو ابن القيم أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وبيان أخطاء الشيخ محمد في هذا الجانب (جانب التكفير) مفيد وضروري، لأن المجتمع السعودي علماؤه وطلاب العلم فيه تربوا على فتاوى الشيخ وعلماء الدعوة الذين كانوا يميلون لتكفير المسلمين، ولابد أن يتأثر بعضهم بهذا الجانب، وقد رأينا فتاوى لبعضهم في الحكم بردة بعض الناس! ومن قرأ كتاب (الدرر السنية) عرف هذا تماماً، بل في هذا الكتاب مجلدان كبيران بعنوان (الجهاد)، كلهما في جهاد المسلمين، وليس فيه كلام عن جهاد الكفار الأصليين من اليهود والنصارى، مع أن بلاد المسلمين المجاورة في الخليج والعراق والشام كان فيها كفار أصليون محتلون. وتبادل التكفير حصل بين علماء الدعوة أنفسهم عندما اختلف أولاد الأمير فيصل بن تركي (عبد الله وسعود) رحمهم الله، فكان مع كل أمير علماء يكفرون الطائفة الأخرى. فهذه (الفوضى التكفيرية) هي نتيجة طبيعية وحتمية من نتائج منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الذي توسع في التكفير؛ حتى وجدت كل طائفة في كلامه ما يؤيد وجهة نظرها. بل حركة الحرم وأصحاب التفجير في العليا ما هم إلا نتيجة لمنهج الشيخ في التكفير قبل سيد قطب ومن شاء فليراجع مصادر هؤلاء وسيعرف هذا تماماً.

الملحوظة التاسعة عشرة:

قوله ص٣٦: (فإن قال: الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها فهذا يكذبه القرآن..) أهـ. أقول: عبادة الأصنام هي السجود لها والصلاة لها وطلب الحوائج منها مع الكفر بالنبوات.. وأما المسلم فلا يصلي لولي ولا نبي ويقر بأركان الإسلام وأركان الإيمان ويؤمن بالبعث و الحساب والجنة والنار.. الخ. ثم في كلام الشيخ تعميم عجيب عندما قال ص٣٧: (الشرك هو فعلكم عند الأحجار والبنايات التي على القبور وغيرها..) وذكر أنهم (يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى! ويدفع عنا ببركته..) اهـ، وأنا أشك في وجود مثل هذه الصورة التي نقلها الشيخ، فهذا إن وجد فنادر، أما طلب البركة من تربة قبور الصالحين ونحوها فهو إلى اليوم وهو بدعة وليس كفراً(١٩) فضلاً عن الشرك الأكبر المخرج من الملة لكل أهل تلك الجهة، بل كان الذهبي وبعض العلماء يجوزه فهل هم كفار؟ ولا زال بعض العوام يفعلون هذا في مناطق مختلفة ولكن هذا لا يعني كفر الناس في تلك الجهات على أقل تقدير، بل لا تخلو منطقة من وجود أفراد يعتقدون في السحرة والكهان اعتقادات باطلة أو كفرية، لكن هذا لا يعني تكفير الناس الذين لا يفعلون هذا، وهم الكثرة مع أن الشيخ محمد رحمه الله كان يكفر كل أهل المنطقة التي يوجد بها مثل هذه الممارسات، بحجة أن من لم ينكر فهو كالفاعل. ويظهر من كلام الشيخ محمد أنه إن علم بحادثة في الحجاز أو عسير أو سدير عممها على أهل تلك الجهة كلها فيكفرهم ويقاتلهم. وهذه حجة من يرى أن الحركة سياسية بالدرجة الأولى؛ لأنه لا يعقل عند هؤلاء أن يظن الشيخ أن يكون أهل الحجاز على إجازة الذبح عند القبور والاستشفاع بأصحابها.. فهذا لن يكون إلا في أفراد، أما التبرك بالصالحين أو تربة قبورهم فهذه قد تكون عند بعض العلماء المتأولين. فلو كان الذهبي معاصراً للشيخ هل نرى وجوب قتله وتكفيره خاصة وأنه كان يرى التبرك بالصالحين وتربة قبورهم؟! إذا قلتم: نعم؛ اطردتم وأصبحت خصومتكم مع غيرنا. وإن قلتم: لا، وافقتمونا بأن هذا الأمر لا يجوز فيه التكفير ولا القتال، نعم يمكن التخطئة والإنكار بلا تكفير ولا سيف.

الملاحظة العشرون:

قوله ص٣٩: (ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب).أهـ. أقول: هذا يتضمن تكفير المخالفين له في الرأي الذين لا تصح فيهم هذه التهمة أبداً ، فليس هناك مسلم على وجه الأرض يقول هذا القول وليس هناك مسلم يقرأ هذه الآية من كلام الكفار ثم يقول بمثل قولهم.

الملحوظة الحادية والعشرون:

ويقول ص٣٩: (فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد) هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله (ص) الناس عليه فأعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين) أهـ أقول: وهذا تكفير صريح للمسلمين في زمانه إلا من كان على منهجه لأنه لا يعرف كلمة (اعتقاد) ولا كتب الاعتقاد إلا الصفوة من علماء وطلبة علم فإذا كان هؤلاء أشد شركاً من كفار قريش فكيف بالباقين؟! وقد سبق الجواب على هذا كله.

الملحوظة الثانية والعشرون:

ويقول ص٤٣: (الذين قاتلهم رسول الله (ص) أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء). أقول: هذا تكفير صريح.

هوامش

١- بل معظم (المسائل الجاهلية) التي كتب فيها الشيخ كتاباً يجب أن يراجع الغلاة من أتباعه أنفسهم فيها وسيجدون أن معظمها متحققة فيهم للأسف.

٢ ـ وهكذا احتكر غلاة الوهابية الدفاع عن الوهابية مثلما هم اليوم محتكرون الدفاع عن الشيخ كما ترونه في ردود الأخوة : عبد الكريم الحميد وعلي الخضير والعقلا ونحوهم ممن يكادون يحكمون بالردة على من خطأ الشيخ! وهذا يشبه احتكار النواصب (ومنهم غلاة السنة) الرد على الشيعة والنطق باسم السنة، ومن ثمّ أخذوا يلمزون علي بن أبي طالب وأهل بيته باسم السنة! ويثنون على معاوية ويزيد وشيعتهم باسم السنة!– كما نفعل في كثير من رسائلنا الجامعية!–، ثم أصبح من ينقدهم معرضاً للاتهام بالتشيع والرفض! مثلما أصبح من ينقد غلاة الوهابية معرضاً للاتهام بمخاصمة الدعوة السلفية، وربما مخاصمة الإسلام والدعوة لعبادة القبور! فهذا كله يحدث لسبب بسيط: وهو أن الغلاة هم المتصدرون في الدفاع والبيان، فدافع عن السلفية من ليس سلفياً، ودافع عن السنة خليط من السنة والنواصب، والمدافعون أو المبينون غالباً يكون لهم الصدارة في التحدث باسم المذهب أو الحركة أو التيار، ويكتسبون الاعتراف مع الزمن، ويرتضون الجوار! ثم تأتي مرحلتهم الثانية بإخراج أهل المنزل الأصلي، وهذه السنة الحياتية موجودة في المذاهب والقبائل.

٣- وكلامي هذا لا يعني تبرئة حكام المسلمين أو علمائهم من الخطأ أو الهوى أو الظلم لكن هناك نقد للخطأ بدرجته وهناك شيء آخر اسمه (إخراج من الملة) فهذا الذي ننكره لأسباب موضوعية من جهل أو تأويل، وإصلاح الأمور لا يأتي بتكفير واستحلال دماء وإنما يأتي بطرق أخرى من نقد ونصيحة وإعانة على معرفة جوهر الخطأ وكيفية تلافيه أو التقليل من آثاره ومحاصرته، فالمجتمع أو الدولة – أي دولة- مشروع الجميع عليهم أن يصبر بعضهم لبعض حتى يحققوا أكبر قدر ممكن من المصالح الدينية والدنيوية، والغريب أن الكفار يديرون شؤونهم بهذا التفاهم العلمي الهادىء ونحن نتناحر ويأكل بعضنا بعضاً حتى عرضنا الإسلام عرضاً مشوهاً يصد الناس عنه، نريد الطرح العلمي لحل المشاكل العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية وهذا الطرح العلمي الهادىء هو في مصلحة الجميع ولا أظن عاقلاً إلا يرحب به، سواء كان عالماً أو حاكماً أو مثقفاً مادام أن الحرص على الإصلاح هو مطلب الجميع ويجب أن يبقى هاجساً للجميع وبوادر هذا الإصلاح يجب ألا تتأخر فالمستقبل وتحدياته لا تقبل التأجيل.

٤- اعتمدت على نسخة صغيرة – طبع دار زمزم –بالرياض–أعده للطبع حمدي أبو السعود آل حمدان– الطبعة الأولى ١٤١٤هـ. هناك طبعات أخرى لكن الرسالة صغيرة فمن وجد أي طبعة فيمكنه قراءتها في دقائق معدودة.

٥- البعض يقول: لو لم يكفرهم الشيخ محمد ويقاتلهم لما انتشر الإسلام الصحيح! ولبقينا في البدع والخرافات إلى زمننا هذا! ...وهذا افتراض غيبي، وقد يعارض هذا القول آخر فيقول: إن الإسلام انتشر في معظم أفريقيا ومعظم آسيا بغير سيف، فلو أن الشيخ راسل العلماء و الأعيان لربما اهتدوا للإيمان الصحيح بلا ضرر ولو تأخرت استجابتهم، وسلمت الدعوة من تهمتين كبيرتين وهما (التكفير والقتال) ظلتا عائقاً كبيراً من عوائق نجاحها إلى اليوم، بل قد يعرض بعضهم عن الإيمان النقي من الشبهات والبدع ويزين له الشيطان الدفاع عن الباطل، كل هذا من باب الخصومة للوهابية، لأنهم في رأيه كفروا مسلمين وقتلوا مسلمين بلا بغي ولا قطع طريق، وهكذا كل يفترض، فالافتراضات لا مكان لها عند مناقشة الأمر شرعاً، بمعنى أن حد السرقة هو القطع حتى لو افترض آخر أن (قتل السارق) سيكون أكثر تأثيراً في منع السرقة فهل يجوز قوله شرعا؟! بالطبع لا، ومن أضرار هذا أنه عندما يعلم الآخرون أن الفئة الفلانية يقتلون السارق فسيتخوفون من هذه الفئة ويعملون على عدائها، وهذا سر كثرة أعداء الوهابية وربما من أناس ليسوا بأورع ولا أتقى، لكن التكفير والقتال للمسلمين جعل لهم المشروعية في هذا العداء من وجهة نظر بعض العلماء على الأقل. إذن فمعرفة حكم الشيء لا تدخل فيه التوقعات المستقبلية، وكذلك إذا كان الرجل مسلماً لا يجوز تكفيره وقتله ليهتدي غيره! (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)؟!.

٦- بل نقل ابن حجر أن التبرك بالصالحين جائز عند جمهور علماء المسلمين (فتح الباري).

٧- وقد رأينا نتيجة هذا –فيما يبدو– في بعض مواقع الإنترنت السلفية!! التي لا تأسف على ذهاب الشهداء من الفلسطينيين، وزعم هؤلاء الأخوة الغلاة أن الأمر سيان فالأمر: كفار يقتلون مبتدعة! فالمسألة طوب يكسر بعضه – حسب تعبيراتهم– وسبق لهؤلاء الغلاة أيضاً، أن ارتكزوا في ذم مجاهدي البوسنة والشيشان بمثل هذه الأقوال العجيبة التي وجدوا لها ما يسوغها في كتب العقائد القديمة والحديثة؛ ولو شئت أن أنقل تفضيلهم اليهود والنصارى على المسلمين – المختلفين في الرأي– لما انتهيت، وقد ذكرت شيئاً من هذا في كتاب (قراءة في كتب العقائد) فليراجعه من شاء .

٨- سورة الأنعام آية ٥٦.

٩- سورة الأعراف آية ٣٧.

١٠- سورة الأعراف آية ١٩٤.

١١- سورة النحل آية ٨٦.

١٢- والشيخ محمد رحمه الله أثنى على الكفار في مواضع كثيرة منها قوله عن كفار قريش (كانوا يعرفون الله ويخافونه ويرجونه)! الدرر السنية(١٤٦/١)، وهذا لا يصح إطلاقه، ومن ذلك قوله: (كانوا –يعني كفار قريش– يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله عز وجل!) (الدرر السنية ١١٨/٢)، فهذا الكلام فيه نظر كبير. ومن ثنائه على المنافقين لهذا الغرض قوله: (كان المنافقون على عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ويصلون مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الصلوات الخمس ويحجون معه..) انظر الدرر السنية (٨٦/٢). قلت: كل الكلام السابق يمكن قبوله إلا قوله (في سبيل الله) فالمنافقون لا يفعلون هذا لأجل الله وإنما لأهداف أخرى. وستأتي نماذج من وصف كفار قريش بمثل هذا وتفضيلهم على مسلمي عصره. كما مدح الشيخ – سامحه الله – المرتدين كمسيلمة وأصحابه للغرض نفسه، فقال في الدرر السنية(٤٤/٢): (مسيلمة يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويصلي ويصوم!!)، قلت: وهذا غير صحيح ، فلو شهد أن محمد رسول الله لما ادعى النبوة وقد كذبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إضافة إلى أن مسيلمة كانت له شعائر خاصة غير صلاتنا وصيامنا. وقال عن بني حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب في الدرر السنية (٩/ ٣٨٧): هم عند الناس من أقبح أهل الردة وأعظمهم كفراً وهم مع هذا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويؤذنون ويصلون وأكثرهم يظنون أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بذلك)!اهـ وقال عن أصحاب مسيلمة أيضاً في الدرر السنية(٣٨٣/٩): (شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لكن صدقوا لمسيلمة أن النبي أشركه في النبوة، وذلك أنه أقام شهوداً شهدوا معه بذلك، وفيهم رجل من الصحابة معروف بالعلم والعبادة، يقال له الرجال، فصدقوه لما عرفوا فيه من العلم والعبادة)!اهـ ، أقول: إذن فبنو حنيفة ضحية نظرية عدالة الصحابة!، التي نكاد نكفر من لم يؤمن بتحققها في كل فرد منهم، وهذه دعوة للإيمان بالأمور المتناقضة، فمن اتبع مسيلمة كفر، ومن رد شهادة الصحابي كفر! وكذب بالآيات في تعديلهم في زعم الغلاة! فماذا تريدون من أصحاب مسيلمة أن يفعلوا؟ هم من غلاة السلفية في قضية عدالة الصحابة! فهل تريدون منهم أن يكفروا بنظرية عدالة الصحابة أم يؤمنوا بنبوة مسيلمة؟!. وقد أثنى الشيخ على المرتدين الذين أحرقهم علي فقال عنهم(٤٤/٢): كانوا يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله !!اهـ قلت: وهذا غير صحيح، فالقوم كانوا مرتدين، وبعض غلاتنا يقولون إنهم ادعوا الإلهية في علي، فإن كان هذا صحيحاً فهو أبلغ في الرد على الشيخ بأن هؤلاء لا يشهدون الشهادتين.

١٣- وقد كرر غير مرة بأن خلافه مع الصفوة من العلماء والقضاء لا مع العوام.

١٤- توسعت في هذا في كتاب العقائد فلا يظن ظان أن خالد القسري والحجاج وأمثالهم ممن كانوا يحرقون الكعبة ويقتلون الصالحين أنهم قتلوا الناس حرصاً على الدين!!.

١٥- حتى غلاة الصوفية الذين يجوزون أن الولي يحيي الموتى –مع بطلان هذا القول– لا يقولون بأنه الولي يفعل هذا استقلالاً عن الله!! وكذا غلاة الشيعة الذين يقولون بالولاية التكوينية للأئمة وأن ذرات الكون تخضع لهم لا يقولون بأن هذا يحدث استقلالا عن إرادة الله، وإنما يزعم الغلاة من الصوفية والشيعة بأن الله منح الأولياء والأئمة القدرة على هذا بإذن الله مثلما منح بعض الأنبياء كعيسى عليه السلام القدرة على الخلق من الطين كهيئة الطير وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لكن بإذن الله ومثلما منح بعض الأولياء كصاحب سليمان القدرة أن يأتي بعرش بلقيس في لحظة كل هذا بإذن الله، فهذه الأقوال مع بطلانها لا يعيدونها إلا لقدرة الله وإذنه وتقديره ومنحه بعض الخصائص لعباده من أنبياء وأولياء ولهم في ذلك أقوال ومؤلفات واستدلالات عجيبة تركوا فيها قطعي الأدلة لمظنونها مع تعسف في الاستدلال مثل عملنا في التكفير مع فارق في نسبة الخطأ.

١٦- علماً بأننا نأخذ أقوال هؤلاء من الشيخ نفسه وهو خصم لهم، فمؤلفات العلماء الذين ردوا عليه لا يقرون بمثل هذه النقولات لكننا نناقش تلك الأقوال على افتراض صحتها إلى قائليها.

١٧- وإذا لم يكن قوله بأن شيوخه وشيوخهم وشيوخهم لا يعرفون دين الإسلام مع تفضيلهم لدين عمرو بن لحي على دين الإسلام، وأن أكثر الناس في عصره بنجد والحجاز على إنكار البعث...إذا لم يكن هذا الكلام ونحوه من صريح التكفير فما أدري ما هو التكفير إذن؟

١٨- أقصد أن فتاوى العلماء المعاصرين ترد على شبه التكفير بحجج خصوم الشيخ نفسها التي كانوا يردون بها على الشيخ، ومن أوضح ذلك مسألة الحاكمية.

١٩- بل الذهبي يرى جواز ذلك.

التمرد الشعبي ضد العائلة المالكة عام ١٩٥٥

إنتفاضات العمال والقبائل

لا ريب ان ما تشهده المملكة من بروز تشكيلات سياسية متنوعة لها جذورها في الماضي القريب، فجميع هذه التشكيلات لها امتدادات في حركات التمرد والعمل الحزبي والنشاط السياسي الاعتراضي الذي تفجّر في الخمسينيات. هناك كثيرون يقرأون المملكة في لحظتها الراهنة، ويرون بأن الفعالية السياسية في شكلها الشعبوي قد بدأ منذ عدة سنوات، وقد يعتقد البعض بأن ما يجري الآن هو مقطوع الصلة بالماضي، ولكن ما يُغفل عنه أحياناً هو وجود تلك الصلة الحميمية المستمرة في النشاطات الاحتجاجية داخل المملكة، والربط بينها وبين الماضي. تماماً كما أن فساد مؤسسة الحكم ليس هو الآخر سوى امتداد لظاهرة فساد متفشية في الجسد السلطوي، فما يقال عن بذخ الملك سعود واسرافه يسدل أحياناً ستاراً من السرّية على بذخ كبار الأمراء الحاليين واسرافهم، ولربما أستعمل الحديث عن الملك سعود من أجل تركيز الضوء على شخصية تؤدي الى الذهول عن غيره..

فترة الخمسينيات تعتبر مرحلة مفصلية في تاريخ السعودية السياسي، مرحلة تزخر بالكثير من التطورات الايديولوجية والاجتماعية والسياسية الهامة، الامر الذي يتطلب إحياء تلك الصورة التي كانت عليها مرحلة الخمسينيات، من أجل استيعاب ما يجري حالياً، إذ ما زالت وجوه بارزة اليوم تعمل في المجال السياسي على المستوى الوطني مستلهمة من تجربة الخمسينيات أو موصلة إياها، حيث كان بعضهم قد عاشها وشارك فيها وصنع بعض احداثها.. ثمة تحولات وأحداث وشخصيات وصراعات شهدتها فترة الخمسينيات تناولتها الوثائق البريطانية بشيء من التفصيل والتحليل، ونحن بدورنا نضعها بين يديك ـ عزيزي القارىء ـ لتشكيل صورة ما عن هذا البلد:

الوثيقة الأولى

الوثيقة رقم E ١٠١٥/٦..
تاريخ الصدور: ١١ مايو ـ آيار ١٩٥٥
تاريخ التسجيل: ٢٥ مايو ـ آيار ١٩٥٥
من: المستر فيلبس جدة..
الى سعادة هارولد ماكميلان، وزير الخارجية، لندن
سيدي،

١ ـ من التقارير التي كنت أرفعها (إليكم) بين الحين والآخر عن مباحثاتي مع أعضاء الحكومة العربية السعودية، يتضح أن معظم القوة (السلطة) في هذا القطر، يديرها ويسيطر عليها، رهط (الحاشية) من المستشارين يحيطون بالملك سعود.. قليل من هؤلاء سعوديو المولد، ومعظمهم إما مرتزقة أو وافدون من دول عربية اخرى، ولن أبالغ إذا قلت أنهم يمثلون مبادئ رجعية في الحكم داخل العربية السعودية، وسياسات شديدة العداء للغرب في الخارج.

٢ ـ ولما كان هؤلاء المستشارون يحافظون على سلطتهم ونفوذهم من خلال قدرتهم على الوصول الدائم والمباشر الى الملك، فليس من المستغرب أن يعتبروا وجود وزراء لا يستطيعون التحكم فيها ـ ويمكن أن يرفعوا توصيات الى الملك تخالف رغباتهم ـ أن يعتبروهم مصدر خطر عليهم.. وعلى هذا الاساس، صدرت مؤخراً موجة من المراسم الملكية دون العودة الى مجلس الوزراء، ولا حتى أولئك الوزراء الذين تكون مواضيع المراسم الصادرة داخلة ضمن حدود صلاحياتهم ومسؤولياتهم.. من المحتمل أن يكون المستشارون الملكيّون قد دغدغوا خيلاء الملك وأوحوا له بأن موقعه سيقوى بإصدار مراسيم تهدف الى تذكير الشعب بأنه مهما كانت طبيعة آلية الحكم القائمة، فإن الملك مايزال يمسك بزمام الأمور بحزم في يديه، ويستطيع إصدار القوانين والتشريعات التي يرغب بها، دون العودة الى أي شخص آخر.. وبتعزيز موقع الملك، يصبح موقع هؤلاء المستشارين (وهو بلا شك ما يأملونه) أكثر أماناً ورسوخاً في البلاط، ويصبح ما يلتقطون من الفتات أكثر إغراء.

٣ ـ مثل هذا الاسلوب الاعتباطي في وضع السياسة لا يمكن أن ينجو من النقد، حتى داخل البلاد نفسها، رغم المصاعب التي تتعرض لها حرية التعبير هنا. ربما لا يفصح عن معظم هذه الانتقادات علناً، رغم أن الاشاعات عنها تصلني من حين الى آخر.. إلا أنه في الفترة الأخيرة استمع أحد موظفيي في السفارة الى سيل مكشوف حاد من الانتقادات العنيفة لكل عصبة المستشارين الموجودين في الرياض، تلاه عليه محمد علي رضا، وزير التجارة هنا.. إدعى بأنه أكد لولي العهد، الأمير فيصل (والذي هو أيضاً وزير الخارجية بالطبع) ـ وفيما يتعلق بالحلف التركي/العراقي أنه في وقت الأزمات يكون من السخف أن تقتفي العربية السعودية خطى مصر بكل هذا الرضوخ في مجال السياسة الخارجية، في حين أن مصالحها الحقيقية إنما تكمن في السعي لتأمين الحماية لنفسها من التهديد السوفياتي، عن طريق إقامة علاقات وطيدة مع الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وعن طريق

دفن الصراعات العائلية مع الهاشميين، وذلك عن طريق الاشتراك في الحلف التركي ـ والعراقي (حلف بغداد). والقادة المصريون لا يتمتعون بأية خبرة بالشؤون الدولية، وهم منتفخون بغرورهم الشخصي.. وإنه من السخف الافتراض بأن العربية السعودية يمكن أن تبقى على الحياد في حال قيام حرب عالمية اخرى، نظراً لقرب حقول النفط في الظهران من قواعد القاذفات الروسيّة.

٤ ـ يرى محمد علي بأن السياسة الخارجية التي تتبعها العربية السعودية حالياً هي سياسة مأساوية (يمكن أن تاتي بالمصائب والنكبات).. وهو يعلم يقيناً بانها من صنع المستشارين الوافدين المحيطين بالملك.. ثم يأتي سيء السمعة (أوتو فون هنتغ/شخصية ألمانية هتلرية أصبح مستشاراً للملك سعود)، اضافة جديدة الى هذه العصبة.. حتى فيصل لم يكن من القوة بما يكفي للوقوف ضدهم.. إن الطريقة الوحيدة لاصلاح الوضع ـ حسب رأي محمد علي رضا ـ إنما تكمن في طرد كل هؤلاء، وأضاف أنه وآخرين يسعون الآن لازاحة يوسف ياسين من مواقع التحكم الفعلي بالشؤون الخارجية (ويوسف ياسين مقيم في البلاط الملكي)، وكذلك ازاحة إبن أخته، طاهر رضوان (والذي يقيم في جدّة كرئيس لديوان وزارة الخارجية) والذي لا يتمتع الا (بصلاحية القيام بأعمال ساعي البريد الخاص بيوسف).

ويفكر محمد علي رضا وجماعته بشقيقه ـ علي ـ كبديل ليوسف ياسين.. عمل هذا الأخير كمستشار للأمير فيصل لبعض الوقت (حيث رافقه الى مؤتمر باندونج)، والنيّة متجّهة لبذل الجهود لتعيينه رسمياً بهذا المنصب (أي كمستشار للأمير فيصل).. وقد يعيّن فيما بعد نائباً لفيصل مكان يوسف ياسين.. وفي الحقيقة، فقد بدأت اكتشف علامات تدل على أن هذا الجزء من البرنامج قد نفذ فعلاً: إذ أعلنت الصحافة هنا يوم التاسع والعشرين من نيسان/أبريل بأنه تم منح علي علي رضا لقب وزير دولة.

٥ ـ غير أن انتقادات محمد علي رضا لا تقف بحال عند حد تسيير الشؤون الخارجية.. فمحمد ـ وهو من رجال الاعمال ـ ينظر باحتقار الى جهل، وعدم كفاءة مجلس الوزراء.. وتساءل رضا: ماذا يعرف جمال الحسيني، أو خالد القرقني، أو الأمير مشعل، أو الأمير سلطان، أو الأمير فهد أو الامير عبد الله الفيصل، أو حتى الأمير فيصل نفسه، عن شؤون الاعمال والتجارة؟.. وذكر حادثة وقعت منذ عدة أشهر، حين اقترح جمال الحسيني أن يصدر بيان يعلن أن كل ديون الحكومة ستدفع في المستقبل على أقساط..

وافق الجميع على رأيه، الى أن أوضح محمد علي رضا نفسه أن ذلك سيعني قراراً رسمياً بتأجيل دفع الديون المستحقة نتيجة اشتداد الازمة الاقتصادية (موراتوريوم Moratarium)، وأن هذا سيحطم بشكل لن يقبل الاصلاح الثقة القليلة التي ماتزال الحكومة تتمتع بها لدى الآخرين.. قال إنه لم يكن هناك شخص واحد في ذلك الاجتماع سمع بشيء اسمه (موارتوريوم) من قبل!، الا أنه اتفق عل نسيان القضية كلها ولفها.. ولم يكن هناك أي وحدة أو حس بالتوجّه في دوائر الحكومة في الرياض: لم يكن هناك، في الواقع سوى حفنة من الناس شديدي التعصب والمضللين أو مجرد الجهلة، يحاولون التأثير على الملك بأفكارهم عن طريق دغدغة خيلائه، والامتناع عن القيام بأية محاولة لتحقيق سياسة حسنة التنسيق ومناسبة..

٦ ـ لابدّ لنا من رش بعض الملح على كلمات محمد علي رضا (حتى يكون تذوقها وابتلاعها).. فشعبيته التي تنهار بسرعة متزايدة في دوائر الحكومة العليا، وانتكاساته فيما يتعلق باتفاقية أوناسيس المتعلقة بناقلات النفط (والتي كان المشجع الرئيسي على عقدها)، ورغبته الشخصية بالعودة الى ممارسة الاعمال التجارية، كل هذا يجعل من المحتمل أن يستقيل قبل مضي وقت طويل، مهما حدث من تطورات.. وإنني أشك في أن تكون مشاعره بنفس القوة التي يرغب أن نصدقها، ولكنّي أعتقد أنه غير راض، وبصدق عن الاوضاع الداخلية في البلاد، وغير راض عن سياستها الخارجية، وأنه يشعر بالحاجة الى نظام للحكم أوسع قاعدة، يأخذ في الحسبان، وجهات نظر ومصالح تجارة الحجاز ونجد، والذين يمكن القول بحق أنهم كل ما يمكن أن يسمى رأياً عاماً في العربية السعودية.

٧ ـ إذا استطاعت عائلة علي رضا أن تضمن أي قدر من التحكم بالسياسة الخارجية هنا، فإن النتائج ستكون بكل تأكيد تحسيناً وتقدماً عن حالة الاوضاع الراهنة.. فعائلة علي رضا مثقفة (متطورة) غربية التفكير، وأسلوب الحياة، وعلي رضا يمتلك على الاقل بعض الخبرة الدبلوماسية التي اكتسبها من عمله مع الوفد السعودي لدى الامم المتحدة.. وربما تكون المباحثات معه مثمرة أكثر (مما هي مع غيره)، وستكون بالتأكيد أقل مدعاة للسخط والغضب، مما هي عليه مع يوسف ياسين.

٨ ـ وبناء على ذلك، ففي حين يتوفر أساس معقول للأمل بتحول مقادير وتسيير الشؤون الخارجية السعودية الى أيد اخرى، فالفرصة قليلة محدودة، كما أراها في الوقت الحالي، لحدوث أي تغيّر ملحوظ ومهم نحو الأفضل في البنية المتداعية المتساقطة للحكومة العربية السعودية ككل.. قد تتوافر بعض بذور التغيير في شائعات الانتقادات الشعبية التي ذكرتها آنفاً، وفي أن يكون الملك من الحكمة بما يكفي بحيث يتوقف ويعي (مضامين وأهمية) الانتقادات، فيعطي الشعب حصته العادلة من ثروة البلاد النفطية.. ولكنه قد يخنق المنتقدين، ولا يتخلى عن أي من سلطاته الأوتوقراطية (المطلقة).

وربما سيختار الطريق الثاني، شريطة أن يضمن استمرار قوّة أتباعه المتدينين و(ولاء) قبائله، وقوة ذهبه للحفاظ على هذا الموقع..

بالنسبة للغرب.. قد يعني هذا الفائدة الوحيدة المتوفرة حالياً للتأكد من (تأمين) توفر أفضل الاحتراسات والاحتياطات ضد (انتشار) الشيوعية في هذا البلد.. ولكن من الواضح أن لهذا الوضع مخاطره أيضاً، وإن وضع الملك في صورة هذه الأخطار في الوقت المناسب.. أو عدم وضعه في تلك الصورة، إنما سيعتمد الى حد كبير على إرادة مستشاريه.

٩ ـ سأرسل نسخاً من هذه المراسلة الى رئيس المكتب البريطاني للشرق الاوسط، والمقيم السياسي في البحرين، والى حاكم عدن.

يشرفني، يا سيدي، ومع بالغ التقدير والاحترام، أن أكون..

خادمكم المطيع

توقيع/ فيليبس

الوثيقة الثانية

الوثيقة رقم ES ١٠١٥/٧..

السفارة البريطانية ـ جدة

١٢ مايو ـ آيار ١٩٥٥م

رقم (٤٥) (١٠١٣/٥/٥٥)

مكتوم

من المستر فيلبس ـ جدة..

الى سعادة هارولد ماكميلان، وزير الخارجية، لندن..

سيدي،

في معرض حديثه مع وزير الدولة يوم العاشر من مارس ـ آذار [والذي أعلمني به رئيس الدائرة الشرقية في رسالته رقم (١٠١٥/٢ S)، وتاريخ ١٥ مارس ـ آذار] عبر المستر هاري كيرن، محرر الشؤون الخارجية في مجلة النيوزويك، وكاتب المقالة في تلك المجلة التي يصف فيها زيارته للعربية السعودية مؤخراً، عبَّر عن رأيه بأن الوضع في هذه البلاد قد أصبح عفناً جديداً، وأنه حسب رأيه، لن يستمر وقتاً طويلاً.. هذا الرأي، والذي ربما توصل اليه بعد زيارة قصيرة وتشكيل انطباع سطحي يبدو لي أهلاً للنقاش، وأن الاتجاهات التي وصفتها في مراسلتي السابقة لهذه مباشرة تجعل من هذه اللحظة لحظة مناسبة للتعليق على ملاحظات المستر كيرن.

٢ ـ إن انفاق الملك سعود لملايين الجنيهات على القصور ومظاهر الترف (التي يغدقها) على شخصه وحاشيته قد أصبح قولاً مألوفاً ومصدر سخرية واستهزاء في الشرق الاوسط وخارجه.. ومن الطبيعي أن يصاب زائرو هذا البلد بالصدمة حين يرون التناقض بين الثراء الفاحش الذي تتمتع به الدوائر الملكية (العائلة المالكة) والتجار الأثرياء، وبين الفقر التقليدي (المعهود) الذي يعيشه عرب الصحراء.. ويشعر هؤلاء الزوار بأن القصور الهائلة المطلية بالذهب لا يمكن أن تستمر بالتعايش مدة طويلة جنباً الى جنب مع خيام البدو الرحل وأكواخ الطين.

٣ ـ هذه الصور تبدو لي مضللة الى حد ما.. صحيح ان هناك أقاويل وشائعات عن أشياء وسخط بعض الشرائح عن سكان البلاد، ولا يمكن الا أن يكون هناك بعض الانتقاد لنظام توزيع الثروة الوطنية بهذا الشكل غير

العادل على الاطلاق.. الا أننا لا نرى أو نسمع الا بالقليل من علامات الفقر المدقع الحقيقي في العربية السعودية. فحسب مقاييس الشرق الاوسط لا يشاهد أحد الا القليلين من المتسوّلين ورغم جدب البلاد.. فلا أحد يجوع فالبدو على الأقل، وهم الذين يتطلع الملك ويتوجه اليهم طلباً للدعم ما يزالون غير مثقفين بشكل عام، ومتمسكين بتقاليدهم، بما يكفي لكي ينظروا الى ثراء مليكهم على أنه حقه (الطبيعي) باعتباره شيخهم (والحقيقة أنه الشيخ الاوحد بالنسبة لهم) مهما كانت ظروف حياتهم هم.

٤ ـ من السذاجة طبعاً الافتراض بأن النظام يحافظ على الاستقرار الذي يتمتع به، من خلال الثقة الشعبية (الجماهيرية) بحكمة وكفاءة (حكومة) الملك سعود.. فأسلوب الملك هو مجرد تكييف وامتداد للعادات القبلية القديمة القائمة على ضمان ولاء الأفراد من الرعايا بوسائل متعددة مختلفة ونتيجة ذلك.. ضمان أن يكون لكل شخص مصلحة شخصية، كبيرة كانت أم صغيرة، في الحفاظ على الوضع الراهن.. فالولاء يشترى من البدو عن طريق مكافأة ولائهم التقليدي بالذهب، أو عن طريق ربط القبائل بالعائلة المالكة عن طريق زيجات سياسية مؤقته.. ويشتري هذا الولاء من رجال الدين (والذين يمارسون سلطات ونفوذاً كبيراً بين الناس)، وذلك عن طريق تمسك الملك بالاسلام تمسكاً شديداً، ومن موقعه كحام للأماكن المقدسة.. ومن تجار الاحساء ونجد، يشتري الولاء بالضمانات الشفهية (الضمنية وغير المكتوبة أو غير المصرح بها) بإستمرار تدفق الأرباح الطائلة عليهم من التجارة.. أما من الفقراء والمحتاجين، فيشتري الولاء بالصدقات التي توزع بكثير من التدقيق بالتفاصيل من قبل الملك خلال جولاته العديدة على المناطق المختلفة من المملكة.

٥ ـ إن الاسقاط الواضح من التقسيم (التصنيفات) المذكورة أعلاه للسكان، هو لتلك الطبقة التي تعرف في بلدان اخرى في الشرق الاوسط بإسم (طبقة الأفندية).. ولكن لم تظهر حتى الآن سوى علامات (دلائل) قليلة على أن مثل هذه الطبقة بدأت تتشكل في العربية السعودية، والتي ربما تكون تحدياً للأسس (الأبوية) للنظام السعودي.. وهذا يعود الى العناية التي تمارس في التحكم بأي أعضاء محتملين، قد ينتمون الى هذه الطبقة.. فبموجب مرسوم ملكي صدر مؤخراً على سبيل المثال، لا يسمح لأي أطفال سعوديين بتلقي العلم في المدارس الابتدائية والثانوية في أي مكان خارج البلاد على أساس أنه قد تهمل تربيتهم (نشأتهم) الدينية، أو قد تفسد.

إما التعليم الفعلي، داخل المملكة العربيةالسعودية فإنه غير متوافر حتى الآن، ويمكن دائماً أن تعطى لشباب من ذوي الأفكار الخطيرة، أعمال ووظائف بسيطة في الوزارات حيث يمكن إبقاؤهم تحت التحكم والمراقبة، وأما بالنسبة للمعلمين والمحامين والمهندسين والأطباء فإن الملك سعود يتوجه الى مصر وسورية ولبنان (للحصول عليهم) .. لا يحدث هذا لأن شعبه غير قادر على إنتاج مثل هؤلاء الاختصاصيين فقط، وإنما أيضاً لأن هذه الطبقة من الشعب بالذات هي التي يمكن أن تصبح نواة الثورة.. وطالما أن هؤلاء من المستخدمين الأجانب يعملون هذا بموجب عقود، فليس هناك خطر يأتي منهم داخل البلاد.. وبشكل عام، فإن دخول هؤلاء ـ العالية ـ هنا تشجعهم على متابعة تجارة جمع المال دون التدخل بالسياسة.

٦ ـ إلا أن هذا لا يعني أنه لا تسمع أصوات أبداً ترتفع ضد الحكومة.. فما يسمع في خارج الأوساط السعودية الرسمية قد لا يعدو ان يكون إشاعة، كما سبق أن قلت في مراسلتي التي سبقت هذه مباشرة.. ولكن يبدو أن الاشاعات تعتبر في الاوساط الرسمية شيئاً أعلى من ذلك صوتاً، وتسري هنا إشاعة قوية حالياً تفيد بأنه خلال الأيام القليلة الماضية اكتشفت سلطات الأمن السعودية بعض منشورات سيئة الطباعة تنتقد الملك، وتبذيره واسرافه.. (لا أدري) إن كانت (التالية أسماؤهم) هم في الحقيقة من زرع المناشير أم لا (يقال أنها طبعت في بيروت) فقد علمنا أن عدداً من الاشخاص قد اعتقلوا في جدة والرياض والظهران بمن فيهم والد زوجة عبد الله السليمان وزير المالية السابق، وكذلك رئيس مكتب علاقات العمل (العمّال) الحكومي في مقاطعة الأحساء (والذي حلَّ محله المخلص تركي بن عطيشان صاحب الشهرية البريمية).. يقال أن بعض هؤلاء الذين أعتقلوا فعلاً تم اطلاق سراحهم بعد أن تعرضوا للضرب المبرح دون أن يثبت أي شيء ضدهم، ولكن تفيد التقارير بأن عدد المعتقلين الآن يتجاوز الثلاثين.

٧ ـ عندي من الاسباب القوّية ما يجعلني بأنه ليس كل المعتقلين من المناوئين للملكية، ويبدو أن الملك اغتنم هذه الفرصة لالقاء القبض على كل من يشتبه بأنهم يتعاطفون مع الحزب القومي السوري (Syrien Partie Populiste)، ربما كمحاولة لتعزيز القرار (المتخذ) في دمشق حول الحلف السعودي ـ السوري ـ المصري المقترح، وسواء كانت هذه التفاصيل صحيحة أم غير ذلك (فحقائق من هذا النوع، سيئة السمعة، ويصعب التحقق منها).. فإن الذي بدا مؤكداً هو أنه قد حدث فعلاً إنفجار للاضطرابات في جماعات محدودة من السكان..

سيكون من المستغرب ألا تقع مثل هذه الاضطرابات بين الحين والآخر في مجتمع من النوع الموجود في هذه البلاد رغم كل الاحتياطات الامنية التي تتخذها الحكومة.. ولكن لم نسمع كلاماً هنا حتى الآن عن أي شيء شبيه بالانتقاد العام القريب أو بالغضب وعدم الرضى بين سكان أي جزء من أجزاء البلاد، لا يمكن الحكم على السعودية من خلال النظرة الغربية وبالمقاييس الموجودة في جيرانها العربيات الأكثر تقدماً وتطوراً.

واذا ما استمر الملك وعصبته في امتلاك الذهب الكثير والحصول على دعم القبائل، فلن يكون هناك من سبب في المستقبل المنظور على الأقل، يمنع أن تكون تنبوءات المستر كيرن خاطئة، من المؤكد أنه سيكون في مصلحة الغرب أن يثبت خطأ (هذه التنبوءات) طالما أنه لا يتوفر بديل مرضٍ ومنظور للشكل الحالي من نظام الحكم في هذا البلد.

٨ ـ سأرسل نسخاً من هذه المراسلة الى المكتب البريطاني للشرق الاوسط، والى سفراء جلالة الملكة في القاهرة ودمشق والى المقيم السياسي في البحرين، والى حاكم عدن.

يشرفني يا سيدي، ومع فائق التقدير والاحترام، أن أكون.

خادمكم المطيع، فيلبس/توقيع

الوثيقة الثالثة

رقم الوثيقة ٨ /١٠١٥ ES

السفارة البريطانية ـ جدة

١٤ مايو ـ آيار ١٩٥٥م

من: المستر فيلبي ـ جدة

الى: الدائرة الشرقية، وزارة الخارجية، لندن، S.W.1..

الدائرة العزيزة،

ظهر البيان التالي في عدد صحيفة البلاد السعودية الصادرة في ١٨ ابريل ـ نيسان:

(لما كان سمو الأمير طلال قد استقال من منصبه، فقد ألحقت وزارة المواصلات بوزارة المالية بموجب المرسوم الملكي رقم ٥/١٩/١/١٤١٦، والمؤرخ في الثالث والعشرين من شعبان ١٣٤٧هـ (١٦ نيسان ـ أبريل ١٩٥٥م.)

٢ ـ خلال توليه لمهام منصبه.. والذي استمر حوالي العامين، يبدو أن الأمير طلال، رغم بعده الكبير عن كونه الوزير المثالي الدؤوب على عمله، استطاع أن يقيم وينشىء تلك الوزارة من الصفر.. كما أن المسؤولين الذين كان يختارهم كانوا من ذوي القدرة والكفاءة بالدرحة الرئيسية، ومن الرجال المستقيمين نسبياً واستطاعات الوزارة أن تكسب شهرة وسمعة أفضل في معظم الوزارات في مجال إعلانها عن المناقصات بأقل قدر من الفساد.

٣ ـ تتفاوت الآراء حول أسباب استقالة طلال.. من المعروف أنه قد استقال عدة مرات من قبل حين (أعيقت) (المخصصات)، التي كان يعتبرها بالغة الحيوية لأغراض المشاريع الوزارية.. يبدو أن الاحتمال الكبير هو أن هذه القضية برزت الى الوجود مرّة أخرى، حين قام الملك قبل شهرين ودون استشارة الوزارة، قام بإصدار مرسوم مفاجيء يقضي بوجوب إنشاء ١٣٠٠ ميل من الطرقات من جدة الى الدمام، دون وجود أية مخصصات لها في الميزانية.. أما الملك من طرفه فيبدو أنه غضب عندما أُخبر بأن وزارة المواصلات قد أنفقت بالفعل عشرة ملايين ريال من مخصصاتها في ميزانية عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ دون أن يكون هناك من النتائج الملموسة ما يغطي ويبرر هذا الاتفاق.

يعتقد أنه سيجري في الوقت الحالي، على أي تقدير، تقييد الانفاق بإحكام

على مشاريع المواصلات من قبل وزير المالية..
٤ ـ ربما بإيحاء من زوجته اللبنانية الأصل، والتي تكره الحياة في العربية السعودية، طلب طلال تعيينه سفيراً لدى فرنسا، ووافق الملك على طلبه، وقد أرسلت (لكم) بتقرير مستقل حول هذا الموضوع في مراسلتي رقم ٤١ تاريخ ٤ مايو (W F/٩٠١/١٣).
٥ ـ سأرسل نسخة من هذه الرسالة الى باريس..
المخلص أبداً، هـ. فيلبس، توقيع

الوثيقة الرابعة

ترجمة منشور:
(نداء من قلب الكعبة الى كل الوطنيين الذين يعشقون الحرية)
لقد انتشر الفساد في طول البلاد وعرضها، والأشرار يواصلون عدم اكتراثهم لمصالح البلاد وشعبها.. فماذا أنت فاعل يا أخي المواطن والمدافع عن وطنك ودينك؟.. لقد سخر حكامك المضللون المخدوعون من كل ما تعتبره مقدّساً، وسمحوا لأنفسهم بأشياء وأمور حرموها عليك وعلى أبناء بلدك، هل تعرف يا أخي أن الشباب القوي النشيط يمحى من الوجود حين يصيبه المرض والفقر والجوع والعري والحرمان والإهمال؟..إلتفت يميناً ويساراً وسترى القصور الشاهقة ومعالم الحياة المترفة الباذخة جنباً الى جنبٍ مع الزرائب القذرة التي يعيش فيها أبناؤك، بينما أقرباؤك ينبطحون بحثاً عن حبّة أرز لا قيمة لها.. وسيكون نصيبهم الجلد والضرب على أيدي عبيد العبيد.
هل تعرف يا أخي أن مئات القصور يجري بناؤها في المدينة، وجدة، والرياض، والطائف، والدمام لحساب ملك غبي أحمق خالٍ من الوقار، ترى فيه خيال رجل لا يهمه الا إرضاء شهواته، وتأمين راحته، وتكويم الأملاك لأبنائه وزوجاته وخليلاته؟
اللصوص يرتكبون سرقاتهم في وضح النهار، ويتمتعون بحمايته ورعايته بلا خجل ولا حياء.. واذا لم يكن الأمر كذلك، فمالذي حصل للموصلي وفاهوم ومحمد رضا، والعبيد من الخونة الآخرين من اللصوص من أمثالهم؟
هل تعلم يا أخي، أن الأمير فيصل ولي العهد الذي يفترض أنه مستقيم لاغبار عليه، يبني قصوراً لنفسه تكلف عشرات الملايين؟.. وأنه حين يخرج للصيد، يأخذ معه ثلاثمائة خيمة ومئات من السيارات والراقصات للتسلية؟.. وعملاؤه يغدون ويروحون ليأخذوا ما يريد من مخازن وزير الدولة الشربتلي، الذي كان بالأمس هدفاً لخطاباته وسخطه، وانتقاده اللاذع، بينما هو في نفس الوقت أقرب المقربين اليه وأقرب مستشاريه.. فماذا جرى إذن؟.. هل هم يقتربون من الشيخوخة والهرم؟ .. أم ما هو المصير والكارثة التي يقادون اليها؟
هل يمكن أن تفوتكم ملاحظة كون الملك محاطاً بحلقة من اللصوص والجواسيس، وأنه محبوس وراء أبواب موصدة، ونتيجة ذلك أنه لا أحد يستطيع الوصول اليه سوى أولئك الذين يوافق عليهم أتباع فيصل في الحجاز؟
ألم تسمع بالحكاية المشهور عن مقايضة الجمال؟.. والمعنى كما يقول المثال، هو في قلب الشاعر. لاشك أنك قرأت وسمعت بأن دخل (عائدات) بلادك لا يقل عن ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال ، وأن نصفها يبدده ويبذره الملك المسرف، وأن ثلثها يذهب الى وليّ عهده الكافر الغدار (الخائن)، وأن ما تبقى يذهب الى جيوب اللصوص.
فإذا أنت وبلدك خاليا الوفاض.
فماذا فعلت؟..وماذا أنت فاعل يا أخي؟
هل شحذتم سيوفكم، وهيأتكم سلاحكم ليوم الثأر، ويوم المشاركة في حكومة رشيدة تحكم وطناً نفخر به ونعتز؟
كل شيء ممكن حين تتقارب من بعضها القلوب المليئة بالإشمئزاز والألم..
قال وزير المالية والاقتصاد الوطني إن الديون المستحقة على الدولة تبلغ ٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال سعودي، وأن لجنة قد شكلت لتصفية هذه الديون، وأن خبراء قد تم احضارهم من خارج البلاد لهذا الغرض.. إلا أن ما هو مهم حقاً هو أن حقوق فاحشي الثراء قد ضمنت لهم فوراً ودون تأخير، بينما الديون المستحقة (على الدولة) للفقراء الذين لا يملكون ما يرشون به (المرتشين) قد أحيلت الى لجنة تصفية الديون، أي الى مدفنها الأخير..
إن ما حدث في قضية أوناسيس يظهر الاستعداد التام لمن هم في موقع السلطة للضحية بمصالح البلاد العليا من أجل مصالحهم الشخصية الحقيرة الخسيسة.
أبناء وطننا الأعزاء: مواطني العزيز:
إن توزيع هذه المطبوعات على أوسع نطاق وبين كل طبقات الشعب سيوضح ويبرهن على أنك مخلص وأنك لن توفر جهداً لخدمة هذه القضية..

الوثيقة الخامسة

وثيقة رقم: ES ١٠١٥/٤..
مكتوم: من البحرين الى وزارة الخارجية..
من: المستر باروز..
الى وزارة الخارجية..
رقم: ٣٢٧، وتاريخ ١٣ مايو ـ آيار ١٩٥٥م
أفضلية في العرض مكتوم
مكررة الى: جدة للإطلاع..
العربية السعودية،
تدور شائعات هنا عن وقوع بعض الاضطرابات في منطقة الاحساء خلال الأيام القليلة الماضية.. وبالرغم من تباين الروايات فإنها تتفق جميعها على أنه قد تم اعتقال عدد من الاشخاص.. يؤكد هذا كبير ضباط البحرية الأميركية الذي كان في الظهران يوم ١٠ مايو ـ آيار. وقد فهمت أن أحدا هؤلاء المعتقلين هو ابن أحد التجار الأثرياء، وهو من معارف عمل حاكم البحرين المقربين.. كما يعتقد ضابط البحرية الأميركية المشار اليه أعلاه بأن القضية قد تكون مرتبطة بالتوزيع الذي جرى مؤخراً لرسائل مغلقة التوقيع موجهة الى الملك، ومرسلة على ما يظهر، من بيروت.. وتوحي الاستفسارات التي قام بها أحد الطيارين البريطانيين العاملين في شركة طيران الخليج، ومن اتصالات أجراها في مطار الظهران، أن بعض الأشخاص المشمولين (بالاعتقالات) على الأقل هم من العاملين في إدارة علاقات العمل في الدمام.
أرجو من وزارة الخارجية إرسال نسخة من هذه البرقة الى جدّة تحت رقم (٦٠) مكررة الى جدّة..
نسخة الى: الدائرة الشرقية.

الوثيقة السادسة

رقم: A/4/1015ES..
مكتوم، من جدة الى وزارة الخارجية (من المستر فيلبس)، رقم ١٢١ تاريخ ١٦ مايو ـ آيار ١٩٥٥م ـ مكتوم..
برقية موجهة الى وزارة الخارجية تحت رقم ١٢١، تاريخ ١٦ مايو ـ آيار ١٩٥٥، مكررة للإطلاع الى البحرين.
بالإشارة الى برقية البحرين رقم (٣٢٧) (ES ١٠١٥/٤) المرسلة اليكم: الوضع الداخلي في العربية السعودية.
١ ـ نظراً للعطل الفني في مكتب البرق المحلّي، لم أستلم البرقية المشار اليها حتّى اليوم.. إلاّ أنها تقدم لي تأكيداً مفيداً لأخبار الاعتقالات التي أفدتكم عنها في مراسلتي رقم (٤٥) تاريخ ١٢ مايو.
٢ ـ مما تجمع لي من معلومات هنا، لم (تقع) أية اضطرابات (أكرر: لم تقع).. لكن الاعتقالات هنا وفي الرياض، وكذلك في منطقة حقول النفط قد وصل عددها (حسب قول زميلي الأمريكي) ـ وبناء على معلومات تلقاها من الظهران ـ الى حوالي ستين معتقلاً تقريباً.. ويشمل هؤلاء رئيس دائرة علاقات العمل في مقاطعة الاحساء، والذي حل محله تركي بن عطيشان، صاحب الشهرة البريمية.
٣ ـ معظم المعتقلين متهمون بنشاطات معادية للعائلة المالكة.. ولكن هناك أسباب قوية للاعتقاد بأن الحكومة استغلت هذه الفرصة أيضاً لتطويق

واعتقال المتعاطفين مع الحزب القومي السوري.. أرجو من وزارة الخارجية إرسالة نسخة من هذه البرقية الى البحرين تحت رقم (٦٠).
مكررة الى البحرين
نسخة الى: الدوائر الشرقية

الوثيقة السابعة

رقم: ES1015/5..
المقيمية البريطانية..
البحرين ١٦ مايو ـ آيار ١٩٥٥
(١٠١٢١٢/٨/٥٥) مكتوم
من: ب. آ. ب. باوز ـ البحرين..
إلى: ل. آ. س. فراي المحترم الدائرة الشرقية، وزارة الخارجية، لندن..
عزيزي بني،
١ ـ بالاشارة الى برقيتي رقم (٣٢٧) (١٠١٥/٤) وتاريخ ١٣ مايو حول شائعات الاضطرابات في المنطقة الشرقية من العربية السعودية.
٢ ـ (منذ أن أرسلت برقيتي المذكورة)، زار قنصل الولايات المتحدة في الظهران الى البحرين، وقدم لي المعلومات التي بحوزته.. عملية الاعتقال الرئيسية التي يعلمون بها كانت لرئيس مكتب علاقات العمال الحكومي في الدمام.. وقد سيق الى الرياض، ولم يسمع عنه شيء بعد ذلك.. حلّ محله في رئاسة المكتب تركي بن عطيشان.. كما وقع عدد آخر من الاعتقالات في الأحساء لأشخاص أقل أهمية.. وقد وصل الى مسامع القنصلية شائعات لم تتأكد بعد بأنه تمّ إعدام أربعة أشخاص في الرياض.. وهناك حالة توتر واضطرابات خفيفة بين العمال في (بقيق)، وهو أحد الحقول النفطية المنتجة الواقع على مسافة غير بعيدة غربي الظهران، حيث يقاطع العمال السعوديون خدمات النقل التي أدخلتها الشركة (أرامكو) حديثاً، بحجة أن الحافلات (الباصات) ليست مريحة ولا منتظمة كحافلات الموظفين الأميركيين.. مضى الآن شهر على بدء هذه المقاطعة.
القضية ليست ذات أهمية بحد ذاتها، ولكنها مهمة كظاهرة مقاومة سلبية للسلطة، وكتعبير عن التنظيم المتواصل بين العمال.
٣ ـ سأرسل نسخة من هذه الرسالة الى فيلبس في جدّة.
المخلص أبداً، بيرنارد باروز، توقيع

الوثيقة الثامنة

رقم: ES ١٠١٥/١٣..
محدود التوزيع..
السفارة البريطانية ـ جدة..
٢٩ سبتمبر ـ أيلول..
من: المستر فيلبس ـ جدة..
الى: الدائرة الشرقية ـ وزارة الخارجية ـ لندن S.W.1
الدائرة العزيزة،
كنت على وشك الكتابة لأقدّم لكم ملخصاً عن عدد من الشائعات التي تناهت الى سمعنا خلال الشهر الماضي حول الاضطرابات في عسير، في جنوب العربية السعودية، حيث نشرت الحكاية أمس في الصحيفة المحلية.. وبناءً عليه، فسأبدأ بالرواية الرسمية (مأخوذة من صحيفة البلاد السعودية، العدد الصادر في ٢٨ سبتمبر ـ أيلول)، وفيما يلي فحوى المقال:(أحد أفراد قبيلة الريث، وهي من القبائل الجبلية التي تقطن جنوب شرق جيزان، قتل يمنياً ثم اختفى في أحد الكهوف في تلك المنطقة.. عرضت قبيلة دفع الديّة المعهودة، الا أنها رفضت تسليم الرجل للعدالة.. إهتم الملك بالقضية وأمر بأن يأخذ الحكم الشرعي مجراه.. ولكن القبيلة أصرت على عنادها، وإنسحبت لتتحصن في موقع حصين في الجبال.. عندها أمر الملك بإرسال مئات الجنود الى المنطقة، وحين طوقت مواقع القبيلة، أمر الملك مرة أخرى بإجراء مفاوضات.. ومع ذلك، رفضت القبيلة الاستسلام.. أمرت القوات بالإطباق عليها، ولكن في آخر لحظة أمرها الملك بالتوقف،وأرسل الرسل لتسليم إنذار نهائي لرجال القبيلة.. وإعجاباً بروح الرحمة هذه في مليكهم، أعلنوا خضوعهم أخيراً).
هذا ما قلته للصحيفة..أما الاشاعات المحليّة فقد تباينت كبيراً، وذكرت أسباباً أخرى غير المذكورة أعلاه.. فقالت إحدى الروايات أن أحد الأمراء المحليين قد وضع في السجن لانتقاده النظام، فثارت القبائل غضباً واحتجاجاً.. وقالت رواية اخرى أن ابن أحد شيوخ القبائل كان سيجلد علناً (أمام الناس) ورفض الحاكم المحلي إلغاء الحكم، عندها قامت القبيلة التي كان شرفها وكرامتها في خطر، بقتل الحاكم ثم هربت الى الجبال.. اتفقت معظم الروايات على أن عدداً من جنود الحكومة قد قتلوا أثناء المعركة التي حدثت بعد ذلك..
٣ ـ وسرعان ما تأكد أن الاضطرابات لم تكن كما إشتبهنا في بادىء الأمر، تعبيراً عن الاستياء من الحكم السعودي.. ومع ذلك فقد كان حجم القلق الذي سببته لدى حكام البلاد هائلاً، وهو دليل آخر على تزايد شعورهم بالقلق والخوف.. وقد علمت من مصادر موثوقة أن الملك، وولي العهد، ووزير الدفاع كانوا يراقبون الأمور بأقصى حدود الاهتمام.. ومن المؤكد أن حجم العمليات العسكرية كان كبيراً واسعاً، فقد أخبرني ضابط الاتصال الجوي في السفارة الأميركية، الذي جمع المعلومات التي تلقيناها بالفعل من طياري الخطوط الجوية السعودية الأمريكيين، ومن الشائعات المحلية (قارن مع رسالة البحرين رقم ١١٩٧/٧٤/٥٥ تاريخ ١٣ سبتمبر ـ أيلول الموجهة إليكم)..
أخبرني أن عدداً من الجنود يتراوح ما بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ جندي قد تحركوا الى المنطقة عن طريق الجو والبر، خلال الاسابيع القليلة الماضية.
٤ ـ حتى لو كانت كل هذه زوبعة في فنجان، تبقى الحقيقة أن هذه أول حادثة من حوادث الاضطرابات القبلية تشهدها البلاد منذ عدة أعوام.. إن الولاء القبلي (ولاء القبائل) لعائلة سعود عامل رئيسي في استمرار استقرار النظام القائم.. وقد أظهرت هذه الحادثة الصغيرة، أن الحكومة لم تستطع أن تخمد ثورة قبيلة منشقة (واحدة) إلا بصعوبة بالغة، وبتكاليف باهظة..
ولا أعتقد أن من المبالغة الافتراض بأن هناك الآن بعض من يتساءلون كيف ستتدبر الحكومة أمرها إذا ما واجهتها انفجارات واضطرابات كبرى في البلاد..
٥ ـ سأرسل نسخاً من هذه الرسالة الى البحرين وتعز والمكتب البريطاني للشرق الأوسط.
المخلص أبداً، هـ. فيلبس، توقيع

الوثيقة التاسعة

رقم: ES ١٠١٥/١٥..
السفارة البريطانية ـ جدة
٣١ تشرين الأول ـ اكتوبر ١٩٥٥م
١٠١٣/٢٧/٥٥
مكتوم
من: جهاز الاستخبارات (السفارة ـ جدة)
الى: الدائرة الشرقية، وزارة الخارجية، لندن S.W.1
الدائرة العزيزة،
١ ـ أرجو العودة الى رسالتنا رقم ١٠١٣/٢٤/٥٥، تاريخ ٢٩ سبتمبر ـ أيلول، حول الاضطرابات القبلية في عسير.
٢ ـ يبدو أن هذه الاضطرابات قد تمّ القضاء عليها وإخمادها أخيراً.. وقد أعلن الملك أمس عن عفو عام.. وتطور الثورة لم يكن بالقضية السهلة أبداً بالنسبة للحكومة.. قبل حوالي ثلاثة أسابيع ـ أي بعد نشر التقرير عن خضوع القبيلة المنشقّة (المتمردة) ـ علمنا أنه يجري إرسال قوات إضافية أخرى الى جنوب عسير، وأن سلاح الجو السعودي قد أمر بقصف معاقل المتمردين.. بعد فترة قصيرة من ذلك نشرت الحقائق أو بالأحرى بعض الحقائق ـ في الصحيفة.. أفادت الأخبار (التقارير) أن زعماء القبائل، بعد أن قبلوا عرض الملك بالعفو العام الذي حمله مبعوثوه، غيروا رأيهم بعد أن عادوا الى قبائلهم.. وقد

أصبح واضحاً الآن أن هؤلاء نجحوا في استمرار المقاومة أسبوعين آخرين، وهو ليس بالشيء القليل إذ علمنا أنها مجرد قبيلة صغيرة، وأن قوات الحكومة كانت تتألف من مئات الجنود، إضافة الى كل القوة الجوية السعودية بأكملها.

سنرسل نسخاً من هذه الرسالة الى البحرين وتعز والمكتب السياسي التابع لقوات الشرق الاوسط (البريطانية).

المخلص أبداً

(دائرة الاستخبارات في السفارة)

جدة

الوثيقة العاشرة

السفارة البريطانية ـ دمشق

١ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٥٥م

مكتوم

(١٠٢١٦/٦/٥٥)

من: دائرة الاستخبارات، دمشق

إلى: دائرة الاستخبارات، جدة

دائرة الاستخبارات العزيزة،

١ ـ تلقينا بعض المعلومات عن العربية السعودية من الأشخاص الذين عادوا مؤخراً الى سورية. نحن غير قادرين، بالطبع، على تقدير مدى صحة هذه المعلومات، ولكن ربما يهمكم أن تطلعوا عليهم وتعطوها ما تستحق من الأهمية..

٢ ـ من الواضح أن مخبرينا من أوائل ذوي العلاقات والاتصالات الجيدة، ولهم أصدقاء مهمون في العربية السعودية.. خلال إقامتهم هناك، والتي استمرت سبعة أشهر، تناولوا طعام العشاء مع الملك، وأقاموا في أحد فنادق مكة، حيث ينزل العديد من ضيوف الملك.. غير أن حكمهم (تفكيرهم) ربما يكون متأثراً بالنتائج غير الناجحة لبعض الصفقات التجارية التي عقدوها هناك.. أخبرونا بأن هناك (في العربية السعودية) حالة إنشقاق حادة داخل العائلة المالكة نفسها.. فالأمراء في صراع حاد ودائم فيما بينهم ومع الملك.. وأوضح مخبر هذا الأمر بقوله أن الملك أوقف كل رحلاتهم (رحلات الأمراء) الى الخارج، واحتفظ بأموالهم لنفسه.

وقال مصدر معلوماتنا أنه سمع من أخت الملك أن المراء وضعوا تحت الحراسة المسلحة، بعد أن هددوا بالإطاحة بالملك..

٣ ـ كما أفاد مخبرونا الأوائل أيضاً بأن قبائل عسير وبني شهر وهذيل قامت بتمرد في منطقة جبل جيزان قرب الحدود اليمنية..وقد استطاعات القبائل تطويق أربعة آلاف جندي من الجيش الملكي، بقوة بلغ عددها عشرين ألف مسلح من رجال القبائل، وأنه يجري تموين جنود الجيش من الجو، ربما يثبت هذا الخير ويؤكده ذلك الحديث الذي استرق السمع إليه أحد موظفي السفارة، والذي وصف فيه أحد الطيارين الذين عادوا مؤخراً من العربية السعودية وصف كيف قام هو بقصف بعض تجمعات الناس الذين كانوا مختبئين في كهوف الجبال..

٤ ـ إتفق جميع مخبرينا على الرأي بأن إدارة (حكومة) البلاد بدأت تنهار.. ودعماً لهذا الرأي، قال أحدهم أن الملك لم يعد يثق في الجيش، ولهذا فقد أحاط نفسه بحرس خاص من الأتباع الموثوقين.. هؤلاء الرجال لا يبتعدون عن الملك لحظة واحدة، حتى عندما يخرج الملك ليتمشى في أنحاء قصره، أو حتى عندما يكون مع ضيوفه.

٥ ـ سنرسل نسخة من هذه الرسالة الى الدائرة الشرقية..

المخلص أبداً، دائرة الاستخبارات ـ دمشق

الوثيقة الحادية عشرة

السفارة البريطانية..

جدة..

٢٧ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٥٥م

(١٠١٣/٣/٥٥)

مكتوم

من: دائرة الاستخبارات جدة..

الى: دائرة الاستخبارات، السفارة البريطانية، دمشق..

دائرة الاستخبارات العزيزة،

١ ـ شكراً لكم على رسالتكم رقم ١٠٢١٦/٦/٥٥ (١٠١٥/١٦ S) وتاريخ الأول من تشرين الثاني ـ نوفمبر (١٩٥٥).. لقد إهتممنا كثيراً بسماع هذه الروايات (المتعددة) للشائعات والتقارير عن أوضاع العربية السعودية الداخلية..

بعضها كان يدور في جدّة منذ بعض الوقت، وكان من المفيد أن تجمع هذه مع بعض.. إلاّ ان مخبريكم قد شوهوا بعض الحقائق وهو أمر طبيعي هذا اذا كانت الأخبار التي قدمت لهم في الأصل حقائق..

٢ ـ فاضطرابات عسير مثلاً (أنظر الفقرة ٣ من رسالتكم) لم تشترك فيها إلاّ قبيلة واحدة، هي قبيلة الريث وأنها هي القبيلة وليس الجيش التي تمت محاصرتها وتطويقها.. لقد أرسلنا لتونا تقريراً عن هذا الموضوع الى الدائرة الشرقية، في رسالتينا رقم ١٠١٣/٢٤/٥٥ (ES ١٠١٥/١٣) وتاريخ ٢٩ سبتمبر ـ أيلول ورقم ١٠١٣/٢٧/٥٥ (ES ١٠١٥/١٥)، وتاريخ ٣١ تشرين الأول ـ اكتوبر ١٩٥٥م.

بعد ذلك سمعنا أنه لم يشترك في العمليات إلاّ عدد قليل من الجنود، وأن أصعب العمليات قام بها رجال القبائل المجتهدون محلياً، والذين كانوا كما يبدو مسرورين جداً لمقاتلتهم جيرانهم.. قبيلة الريث، مقابل قليل من المال.. أما التقرير الذين تلقيتموه عن القصف الجوي فصحيح بالتأكيد وقد قامت القوات الجوية السعودية بهذه العمليات، مع أننا أخبرنا مؤخراً من قبل شخص كان في المنطقة في ذلك الوقت، أنه لم تستخدم في هذه العمليات الجوية سوى القنابل الدخانية..

٣ ـ لا نتفق تماماً مع الرأي القائل بأن إدارة (حكومة) البلاد بدأت تنهار (الفقرة ٤ من رسالتكم).. ربما لا تكون الآن أسوأ مما كانت عليه خلال العامين الماضيين.. من المؤكد أن حكام البلاد قلقون جداً حول مسألة الأمن الداخلي، وهم منهمكون في تقوية وتعزيز قوات الأمن في البلاد بمجموعة من المصريين.. إلا أن كون الملك محاطاً دائماً بحراسة شخصية شديدة ليس مؤشراً على ما يحملنا على الاعتقاد بأن الملك قد فقد ثقته بالجيش، إذ من المحتمل.. إذا ما صدقنا الشائعات الدائرة حالياً، أن تكون شكوكه موجهة نحو ابن اخيه، الأمير عبد الله الفيصل (وهو وزير الداخلية) ونحو قوة الشرطة.. الا أن هذه الأخيرة ـ أي قوات الشرطة ـ لا تشكل الا عنصراً صغيراً من عناصر قوات الأمن في البلاد، إذ يتفق عليهم الجيش والأخوان بالعدد لدرجة كبيرة..

٤ ـ أما حكايات الانشقاق والانقسامات داخل العائلة المالكة فيصعب تأكيدها.. من المؤكد أن هناك قدراً من مظاهر الحسد الثانوية التافهة بين الأمراء، وقد تلقينا عدة تقارير حول مؤامرات تحاك للإطاحة بسعود لصالح فيصل.. ومما لا شك فيه أن لفيصل أتباعاً وأعواناً كثيرين من بين أشقائه وإخوته، ولكن لا يوجد أدنى دليل يشير الى أنه هو شخصياً يمنح أي تشجيع للمؤتمرات ضد سعود..

ربما كان مخبروكم قد التقطوا (يرددون) أصداء (أخبار) الصراعات الدائمة التي تتواصل بين أبناء سعود وأبناء ابن سعود حول المخصصات التي يتلقاها كل منهم.. يقال أن أبناء الملك يتلقون الآن (من الأموال) أكثر مما يتلقاها إخوته.. لكن من الخطأ تماماً القول بأن الملك يمنع أياً من الأمراء من السفر الى الخارج.. نعتقد بأنهم ملزمون بطلب الاذن منه، ولكن هذا كل ما في الأمر.. ربما كانت هذه الرواية صدى للخطاب الذي ألقاه الملك في العام الماضي [أنظر رسالتنا رقم ١٠١٣/١٩/٥٤)ES ١٠١٦/٤/٥٤)، وتاريخ ٧ نوفمبر ـ تشرين الثاني ١٩٥٤م الموجهة الى الدائرة الشرقية) والذي ينتقد فيه البذخ الذي يبذخه بعض السعوديين حين يكونون في الخارج.. الا أننا لا نعتقد بوجود أي قدر من الصدق أو الحقيقة في الخبر (التقرير) المذكور في الجملة الأخيرة من فقرتكم الثانية.

٥ ـ سنرسل نسخة من هذه الرسالة الى الدائرة الشرقية.

المخلص دائماً، (هـ. فيلبس)

عائلة العجيمي

حسن بن علي العجيمي (١٠٤٩هـ -١١١٣هـ)

هو حسن بن علي بن يحيى أبو البقاء وأبو الأسرار العجيمي الحنفي المكّي. الإمام الشهير بشيخ الشيوخ، محدّث الحجاز، المسند وأحد الشيوخ الثلاثة الذين ينتهي اليهم غالب أسانيد من بعدهم من العلماء في الحجاز واليمن ومصر والشام وغيرها من البلدان؛ وثانيهم الشيخ عبد الله بن سالم البصري؛ وثالثهم الشيخ أحمد النخلي المكي. ولد بمكة المكرمة، ومات والده قبل تمام السنة من عمره فقامت بتربيته والدته، وحفظ القرآن الكريم في التاسعة من عمره. وطلب العلم وقرأ القرآن الكريم بقراءة نافع رواية قالون على المقرئ الشيخ محمد بن علي البخاري، وأخذ عن الشيخ مهنا ابن عوض الحضرمي، وأخذ الفقه عن الشيخ إبراهيم بيري المكي والشيخ أحمد المخزنجي؛ وأخذ الحديث والتفسير وأصول الفقه والفرائض وعلم التوحيد والنحو والمعاني والبيان والعروض والصرف والمنطق والجدل وعلم الحساب والسير وغيرها عن الشيخ عيسى الثعالبي المغربي ثم المكي، فقد لازمه نحواً من خمس عشرة سنة، وقرأ عليه كتباً كثيرة في فنون عديدة مع التكرار في بعضها.

وكان لا يخلي أوقاته من قراءة الحديث وسماعه، واعتنى به فاستجاز له من شيوخ مصر فأجازه الشيخ علي الشبراملسي وغيره، وكان يذهب به للسماع على شيوخ الرواية. وقرأ في المناسخات على جماعة، منهم الشيخ مبارك بن سليمان اليمني، وأخذ علم الحكمة عن الملا إبراهيم الكوراني المدني، وأخذ علم الهندسة والهيئة عن السيد محمد شفيع الهند. وأخذ علم الميقات عن السيد محمد الشلي با علوي والملا إبراهيم الكوراني المذكور والشيخ محمد بن سليمان الروداني والشيخ أحمد الدمياطي البناء.

وأخذ أيضاً مفردات العلم المذكورة عن كثير من شيوخ عصره الأماثل. وأجيز بالتدريس فتصدر له في منزله أولاً فأخذ عنه جماعة في النحو والعروض والأصلين والمنطق والحساب. ثم تصدر للتدريس بالمسجد الحرام في الموضع الذي فيه شيخه عيسى الثعالبي عند باب الوداع وباب أم هاني، وأخذ عنه جماعة أيضاً في النحو والمعاني والبيان والبديع والحديث ومصطلحه والسير والفقه.

توفي رحمه الله بالطائف.

له: خبايا الزوايا (ترجم فيه مشايخه)؛ إهداء اللطائف من أخبار الطائف؛ حاشية على الأشباه والنظائر؛ حاشية على الدر، ثبت في مجلدين؛ إسبال الستر الجميل على ترجمة العبد الذليل؛ الفلك المشحون (جمع فيه فوائد جمّة)؛ النفح المسكي في عمرة المكّي؛ السيف المسلول في جهاد أعداء الرسول (ص)؛ إثارة ذوي النجدة لتنبيه بندر جدة؛ الورقات الوفيّة؛ تدارك الفوت بجوابات سؤال ورد من حضرموت؛ إيقاظ الطرف النعوس؛ بلوغ المأمول من معرفة المكلف وطرق الوصول؛ رسالة متعلقة بالنياحة على الميت؛ إقالة العثرة في بيان حديث العترة؛ ثلاث رسائل في علم الفلك؛ تليين العطف لمن يدخل في الصف؛ فريد الجواهر (في الرمل)؛ بغية المسترفد في القول بصحة إيمان المقلّد؛ تحقيق النصرة للقول بإيمان أهل الفترة؛ رفع الإشتباه على عبارة وقعت في الأشباه؛ الأجوبة المرضية على الأسئلة اليمنية؛ بلوغ المآرب في صبر الناصح على المتاعب؛ رسالة في الكلام على قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء) ومناقشة على رسالة الوحدة؛ قرة عيون ذوي الرتبة بتدقيق مسائل الصلاة في الكعبة؛ مظهر الروح بسر الروح؛ رسالة في علم الفرائض؛ رسالة في المناسخات؛ رسالة الزايرجة؛ رسالة تتعلق بقوله تعالى: (إن الله سميع بصير)؛ جواب سؤال في حكم البغاة؛ رسالة في التوبة وما يتعلق بها؛ تحصيل القصد والمراد من أحاديث الترغيب في أيسر الأعمال والأوراد؛ إتحاف الخل الوفي بمعرفة مكان غسل النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته (غاسله)؛ إتصال الرحمات الإلهية في المسلسلات النبوية؛ النثر المعطاء في أسانيد جملة من الأحزاب والأذكار؛ كشف اللثام بما اشتبه على العوام؛ منحة الباري في إصلاح زلّة القاري. وقد جمع أسانيده تلميذه تاج الدين أحمد الدهان، بعنوان: كفاية المستطلع ونهاية المتطلع.

(انظر: مرداد أبو الخير، عبد الله. مختصر نشر النور والزهر، ص ١٦٧؛ الكتاني، عبدالحي. فهرس الفهارس، جـ٨، ص ٨١٠، جـ ١، ص ٥٠٤؛ الزركلي، خير الدين. الأعلام، جـ٢، ص ٢٢٣؛ البغدادي، إسماعيل. هدية العارفين، جـ١، ص ٢٩٤؛ كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين، جـ ٤، ص ٢٦٤؛ المنهل، جـ ٧، ص ٤٠١، ٤٤٥؛ غازي، عبد الله بن محمد. نظم الدرر، ص ٨٠؛ الجبرتي، عبد الرحمن. عجائب الآثار، جـ ١، ص ١٧٧؛ الهيلة، محمد الحبيب. التاريخ والمؤرخون بمكة، ص ٣٧٠).

عبد الرحمن بن حسن العجيمي (١٢٥٣ هـ-١٣٠١هـ)

هو عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن علي بن محمد بن حسن بن علي عجيمي الحنفي المكّي. الخطيب الإمام المدرس بالمسجد الحرام. ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، ومجموعة من المتون، وعرضها على مشايخ عصره العلماء الأعلام في البلد الحرام. وطلب العلم وقرأ على كثير منهم، وتفقه على الشيخ جمال، وحضر دروسه في التفسير والحديث وغيرهما؛ وقرأ على الشيخ رحمه الله في الفقه والمعاني والبيان والتفسير وغير ذلك؛ وعلى السيد أحمد دحلان في عدة علوم، وأجازه؛ وقرأ في الفقه على الشيخ عبد الرحمن جمال، وعلى الشيخ عبد الرحمن سراج في التفسير والفقه

والتوحيد وغيرهما؛ واجتمع بالشيخ علي الشامي الحلواني وأجازه، كما أجازه جميع مشايخه.

درّس وأفتى، وكان من كبار الخطباء والأئمة بالمسجد الحرام. قلد قضاء الطائف، وكان من جملة أمناء الفتوى عند الشيخ عبد الرحمن سراج، وكان ذا خط حسن، كتب الكتب والرسائل النفيسة.

توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

(انظر: مرداد أبو الخير، عبدالله. مختصر نور النور والزهر، ص ٢٤٧؛ غازي، عبد الله محمد. نظم الدرر، ص ١٨٨؛ عبد الجبار، عمر. سير وتراجم، ص ١٧٥).

درويش بن حسن العجيمي
(١٢٧٦ - ١٣٤٦هـ)

هو درويش بن حسن بن محمد بن علي بن محمد بن حسن عجيمي الشهير بابن علي، الحنفي المكي. العالم الفقيه. ولد بمكة المكرمة ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم وصلى به التراويح مراراً بالمسجد الحرام. واشتغل بالعلم على جماعة من فضلاء عصره. منهم الشيخ أحمد أبو الخير مرداد، فقد لازمه وقرأ عليه عدة كتب في الفقه، وأكثر تفقهه عليه، وأخذ عنه علم الفرائض والمناسخات، وأجازه بسائر مروياته، وأخذ عن الشيخ عبد القادر شمس الحنفي فقرأ عليه في الفقه أيضاً وفي النحو ولازمه، والسيد بكري شطا الشافعي، قرأ عليه في الحديث والتفسير والتوحيد والنحو وغير ذلك، وحضر دروس الشيخ عبد الرحمن سراج مفتي الأحناف بمكة المكرمة في التفسير والتوحيد ودرّبه في الفتوى ولازمه ملازمة تامة. أمّ وخطب بالمسجد الحرام، وتصدّر للتدريس، فعقد حلقة درسة في الحصوة التي أمام باب الزيادة، وأخذ عنه الشيخ عيسى رواس والشيخ عرابي سجيني والشيخ أحمد ناظرين. تولى أمانة الإفتاء برئاسة القضاة فكان مثال الأمانة فيما يصدره من الفتاوى لحل مشاكل المجتمع بين جميع الطبقات دون محاباة أو مجاملة؛ الدين رائده والحق دليله.

توفي رحمه الله سنة ١٣٤٦هـ.

(انظر: مرداد أبو الخير، مختصر نشر النور والزهر، ص ١٩٤؛ غازي، عبد الله بن محمد. نظم الدرر، ص ١٧٦؛ عبد الجبار، عمر. سير وتراجم، ص ١٠٥).

أحمد العجيمي
(كان حياً عام ١٣٤٢هـ)

هو أحمد العجيمي، مؤسس مدرسة الترقي بمكة المكرمة بمساعدة السيد زيني كتبي، وكانت في الأصل كُتّاباً ثم تحوّل الى مدرسة سنة ١٣٤٢هـ، وكان مقرّها في القشاشية في بيوت آل زيني، وهي من بين المدارس الأهلية التي أنشئت قبل قيام العهد السعودي الحالي، والتي كان لخريجيها دور كبير في بداية النهضة الثقافية للحجاز.

(انظر: مقادمي، فيصل. التعليم الأهلي للبنين بمكة المكرمة، ص ١٤٨).

أبو بكر بن محمد العجيمي
(....-١٢٣٦هـ)

هو أبو بكر بن محمد بن علي بن محمد بن حسن العجيمي الحنفي المكي. ولد بمكة المكرمة ونشأ بها واشتغل بطلب العلم على جماعة. من أجلتهم: المفتي الشيخ عبد الملك القلعي والشيخ طاهر سنبل. كان فقيه وقته، ونحوي عصره، وله رسالة في النحو (رسالة العجمي) كان عليها العمل بمكة المكرمة قبل أن يشتهر شرح الشيخ خالد الأزهر وشرح حسن الكفراوي على الأجرومية. توفي رحمه الله بمكة.

(انظر: مرداد أبو الخير، عبد الله. مختصر نشر النور والزهر، ص ٦٧. وغازي، عبد الله بن محمد. نثر الدرر بتذييل نظم الدرر، ص ٢).

أبو الفتح بن محمد العجيمي
(من القرن الثالث عشر الهجري)

هو أبو الفتح بن محمد بن حسن العجيمي المكي الحنفي. صدر العلماء في عصره، محرراً للقضايا والأحكام. ولد بمكة المكرمة، ونشأ بها، وأخذ عن مشايخها وأكثر أخذه وانتفاعه بوالده، وروايته للعلوم بأسرها عن أبيه عن جده، ولم يكن له نظير في علم الفقه في زمانه. أخذ عنه الشيخ عمر بن عبد رب الرسول، وروى وحدّث عنه. توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

(انظر: مرداد أبو الخير، عبد الله. مختصر نشر النور الزاهر، ص ٧٠. والكتاني، عبد الحي. فهرس الفهارس، جـ٢، ص ٨١٢-٨١٣، وغازي، عبد الله بن محمد. نظم الدرر، ص ١١١).

عبد الحفيظ العجيمي
(....-١٢٤٥هـ)

هو عبد الحفيظ بن درويش بن محمد ابن أبي البقاء حسن عجيمي الحنفي المكي. ولد بمكة المكرمة وأخذ عن علمائها الأعلام؛ منهم الشيخ عبدالملك القلعي، والشيخ طاهر سنبل، وبهما تخرج، وأخذ عن كثير من العلماء الوافدين الى البلد الحرام، كالشيخ أحمد الدردير والشيخ محمد الشنواني وغيرهما وأجازاه. تقلد نيابة القضاء بها في ١٢٢١هـ فقام بها قياماً حسناً وسار بها سيراً حسناً؛ ثم ولي قاضياً بها أيضاً وولي الإفتاء؛ وتولى الإمامة والخطابة بالمسجد الحرام، وتصدّر للتدريس به، وأخذ عنه كثير من الأفاضل كالمفتي السيد عبد الله ميرغني والشيخ عبدالله سراج والسيد يحي مؤذن والشيخ محمد السنوسي المكي وغيرهم، وأخذ عنه كثيرون من الوافدين.

توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

له: فتاوى؛ رسالة في جواز التوسّد على اللحاف الحرير، رسالة في جواز فعل الإنسان الإستخارة لغيره.

(انظر: مرداد أبو الخير، عبد الله. مختصر نشر النور والزهر، ص ٢٣١؛ غازي، عبدالله محمد. نظم الدرر، ص ١٣٠؛ كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين، جـ ٥، ص ٨٩، وفيه عبد الحفيظ بن عبد الله ووفاته سنة ١٢٣٥هـ؛ البغدادي، إسماعيل. هدية العارفين، جـ١، ص ٥٠٢؛ الكتاني، عبد الحي. فهرس الفهارس، جـ١، ص ٣٧١، ص ٣٩٣، وجـ٢، ص ٨١٣).

محمد بن حسن العجيمي
(... - ١١٥٦هـ)

محمد بن حسن العجيمي الحنفي المكّي، ولد بمكة المكرمة، ونشأ بها وأخذ العلوم عن علمائها الأعلام في عصره، منهم والده، وأصبح عالم زمانه وفريد أقرانه. أُجيز بالتدريس فقام فيه مقام أبيه. توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

له: قطع الجدال؛ رسالة تتعلق ببيان الصف الأول.

(انظر: مرداد أبو الخير، عبد الله. مختصر نشر النور والزهر، ص ١٦١؛ غازي، عبد الله بن محمد. نظم الدرر، ص ١٠١).

مملكة بلا فرامل

ليس هناك من هو قريب من السلطة يشعر بأن الحكمة دليلها او المنطق مرشدها، فهي تسير على غير هدى، رغم أن ما يطفو على السطح قد يصنع انطباعاً مضللاً، خصوصاً حين ينظر الى بعض الانشطة المستحدثة مثل اللقاء الفكري، والانتخابات البلدية، ومشروع توظيف العاطلين عن العمل وغيرها، فكلها مفردات قد توحي بأن ثمة عقلا مدبّراً يدير سفينة الدولة الى شاطيء الأمان، ولكن الواقع غير ذلك على الاطلاق.

فمازالت مظاهر الفساد والفوضى والتحلل في أجهزة الدولة تزداد تفشيّاً، ومازال النهم يستبد باللصوص الكبار، وأن ما تم تداركه من الفائض المالي بفعل ارتفاع أسعار البترول في الاسواق العالمية لم ينعكس في مشاريع تنموية واضحة ومشهودة.

ومن المثير للغرابة أن الأمراء الكبار يدركون تماماً بأن أسس الدولة بدأت بالتصدّع ومازالوا موهومين ببطانة تزيّن لهم السوء كما فعلت حاشية صدام حسين الذي زرعت في ذهنه فكرة موهومة بأن الشعب العراقي قد تحوّل الى حرس خاص عن القصر الجمهوري وأنهم باتوا على أهبة الاستعداد للفداء بالروح والدم من أجل حياة الرئيس.

ولكن فساد البطانة من فساد السلطة، ولأن الاولى تقتات على مائدة الثانية، فقد يهيم أحياناً رؤوس السلطة بخيال القوة والجبروت ويعتقدوا بأن السلطة مستقرة وأن ليس هناك ما يحول دون الاستمرار في ذات السياسة التي ساروا عليها منذ أن تأسست الدولة عن طريق القوة والاكراه.

وفي الوقت الذي تشهد فيه الدولة انتقادات من كل أنحاء العالم، وتتفجر الالغام من تحتها في الداخل، يضرب الامراء الكبار صفحاً عن التحديات الخطيرة مستأنسين بوهم القوة التي بلا ريب قد صدمت بعضهم حين تهاوت هيبة الدولة في فترة قياسية فلم تعد تفرض احترامها على أحد حتى من رعاياها في الداخل، وقد لحظ ذلك صاحب القبضة الباطشة الامير نايف في لقائه بدعاة الاصلاحيين وهم يردّون مقولته بكل صلابة وتؤدة.

إن ما كان منتظراً من الدولة في السنوات القليلة الماضية بات مرفوضاً من قبل التيار الشعبي العام، فقد أصاب اليأس الجميع من خروج فارس من داخل العائلة المالكة يعيد الامور الى نصابها ويضع البلاد على سكة الاصلاح، فقد تجاذب الأمراء أطراف السلطة وباتوا يفعلون بها كما يشاؤون دون رقيب ولا حسيب، فلم يعد للدولة كبير يرجع اليه، فالكبار باتوا كثر في سنام السلطة، وكل يرى رأيه في شؤون الدولة، فقد يقرر الامير نايف ما لا يقبله الامير عبد الله، وقد يقدم الاخير على سياسة ينبذها الامير سلطان وهكذا..

فليس للدولة كبير يجمعها، ولا رشيد يضفي عليها من حكمته، ولا حصيف يصنع قرارات انقاذية توقف مسيرة التدهور التي شهدتها الدولة منذ سنوات عديدة.. لقد تعددت مراكز القوى، حتى لم يعد المرء يشخّص أحياناً من هو الحاكم الفعلي للبلاد، ولم يعد للناس جهة تظلم يجأرون اليها بشكاواهم ضد من حرمهم أو تعدّى على أملاكهم، فقد يلجأون الى ظالمهم مضطرين او دون إدراك مسبق..

دولة تسير بلا فرامل حقاً، وكان يؤمّل أن تتشكل لجان طوارىء متخصصة في أرجاء البلاد من أجل وضع الخطط الاستراتيجية لتسوية المشكلات الكبرى في الدولة، وهذا ما كان يفترض حصوله منذ سنوات، أي منذ أن دخلت الدولة في النفق المظلم.. بالرغم من أن المتخصصين والخبراء في الداخل والخارج قد بذلوا جهوداً مضنية من أجل تقديم مقترحات عملية بل وخطة اصلاحية شاملة كيما تسير عليها الدولة من أجل معالجة المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية.. كل ذلك نعلم يقيناً بأن الخبراء المحليين قد ساهموا فيه بجدية واخلاص وتفانٍ، ولكن الامراء لا يقرأون ولانهم يعيشون عالمهم الخاص فإنهم لا يكترثون لما يكتب طالما أن السلطة مازالت مقبوضة بيمينهم.. في مناسبات عديدة يتحدث أصحاب الرأي والخبرة عن لقاءات جمعتهم بأصحاب القرار في العائلة المالكة عن أن جهودهم تضيع سدى لأن أصحاب القرار لا يدركون أصل الموضوع فضلاً عن طريقة التعاطي معه، ويتفق أصحاب الرأي على نتيجة واحدة: لقد خرجنا من اللقاء ولا نعتقد بأن الامير الفلاني قد أدرك مما نقول شيئاً، فنحن نتحدث عن قضية ليست حاضرة في ذهنه وإن حضرت فتكون بطريقة مقلوبة، وقد يسأل عن أشياء لا صلة لها بالقضية المطروحة من قريب او بعيد.

نتمنى أن يلهم الامراء الحكمة من يجود بها عليهم حتى لا تضل الدولة طريقها وتسير في منزلق بدون فرامل بل ولا يوجد من يضع قدمه على الفرامل إن أمكن تنصيبها قبل الوصول الى حافة الطريق.. وفي الاخير فإن ما يظهر أن الدولة تساق كالمغشي عليه ولا معين الا باريء النسمة.

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سفرُ الوجود ومعهدُ الآثار







عزاؤنا فيك يا فقيد العلم يا عالم مكةَ

ما أظن أن سكان أم القرى وما جاورها قد أصابهم فزع وذعر كما أصابهم نبأ فقدان عالم مكةَ ورمزها وسيد أهلها، السيد الجليل، والعالم الكبير، السيد محمد بن علوي مالكي الحسني، الذي رحل عنا ونحن في أشد الحاجةَ لوجوده بيننا.

الحجاز لن يتخلّى عن هويته وتراثه

نخبةَ الحجاز: هموم المرحلةَ وتحديات المستقبل



زعيم الحجاز الديني:
تشكيل مؤسسة غير وهابية

من نافلةَ القول التأكيد على أن (الحجاز) وقد سبق له أن كان دولةَ تتمتع بكل أجهزةَ الدولةَ الحديثةَ هو الأكثر إخافةَ لحكم النجديين الوهابيين من أن يفلت من بين أيديهم، فيخسروا مكانتهم الدينيةَ، وتبقى دعوتهم المتطرفةَ في حدود صحرائها، لا تتمتع بغطاء الحرمين الشريفين وإدارتهما، واللذان من خلالهما يتم فرض المذهب الوهابي وتضليل العالم الإسلامي، بل ومن تحت ذلك الغطاء تتم ممارسةَ أبشع وسائل التدمير لتراث الحجاز وتراث المسلمين.

وإذا كانت أموال النفط قد أمدّت الحكم السعوديةَ ودعوته الدينيةَ المتطرّفةَ بزخم غير عادي لم يتأتّى لأي دعوةَ أخرى في العهد الحديث، فإن النفط نفسه ليس مضموناً الى الأبد مادامت سياسات النجديين النقيضةَ لكل ما هو وطني ولكل ما هو عدالةَ ومساواةَ، قائمةَ ومستمرةَ.. فالنفط ومنطقته قد تذهبان أيضاً، بالرغم من الشعور المغالي فيه بالقوةَ الذي يبديه متطرفو الوهابيةَ وآل سعود على حدّ سواء، والذي يظهر وكأن الدنيا والعالم قد توقف عندهم وغير قابل للزوال.

(الدين والملك توأمان)

التحالف المصيري بين الوهابيةَ والعائلةَ المالكةَ

كان العامل الديني القوةَ التوحيديةَ الفريدةَ الذي نجح في تشكيل وحدةَ اجتماعيةَ وسياسيةَ منسجمةَ في منطقةَ نجد. فقبل ظهور الدعوةَ الوهابيةَ

القبّة الخضراء فضيّة وبلا هلال!

التطرّف الوهابي لا حدود له.

إنه مرضٌ حقيقي مختزن في صاحبه، قد يوجهه الى الآخر المختلف في الوجهةَ الدينيةَ او المناطقيةَ، لكنه لا يلغي حقيقةَ أن المريض بالتطرّف لا يخرب بيت الآخر بل ينتهي بتخريب بيته. لقد بدأ التطرف في المملكةَ ضد المواطنين الآخرين غير الوهابيين، فساموهم العسف والظلم وهدر الحقوق والكرامةَ، وكانت الحكومةَ تؤيد ذلك وتشرعن الفعل الطائفي المتطرف،

معالم وآثار يهدمها الوهابيون

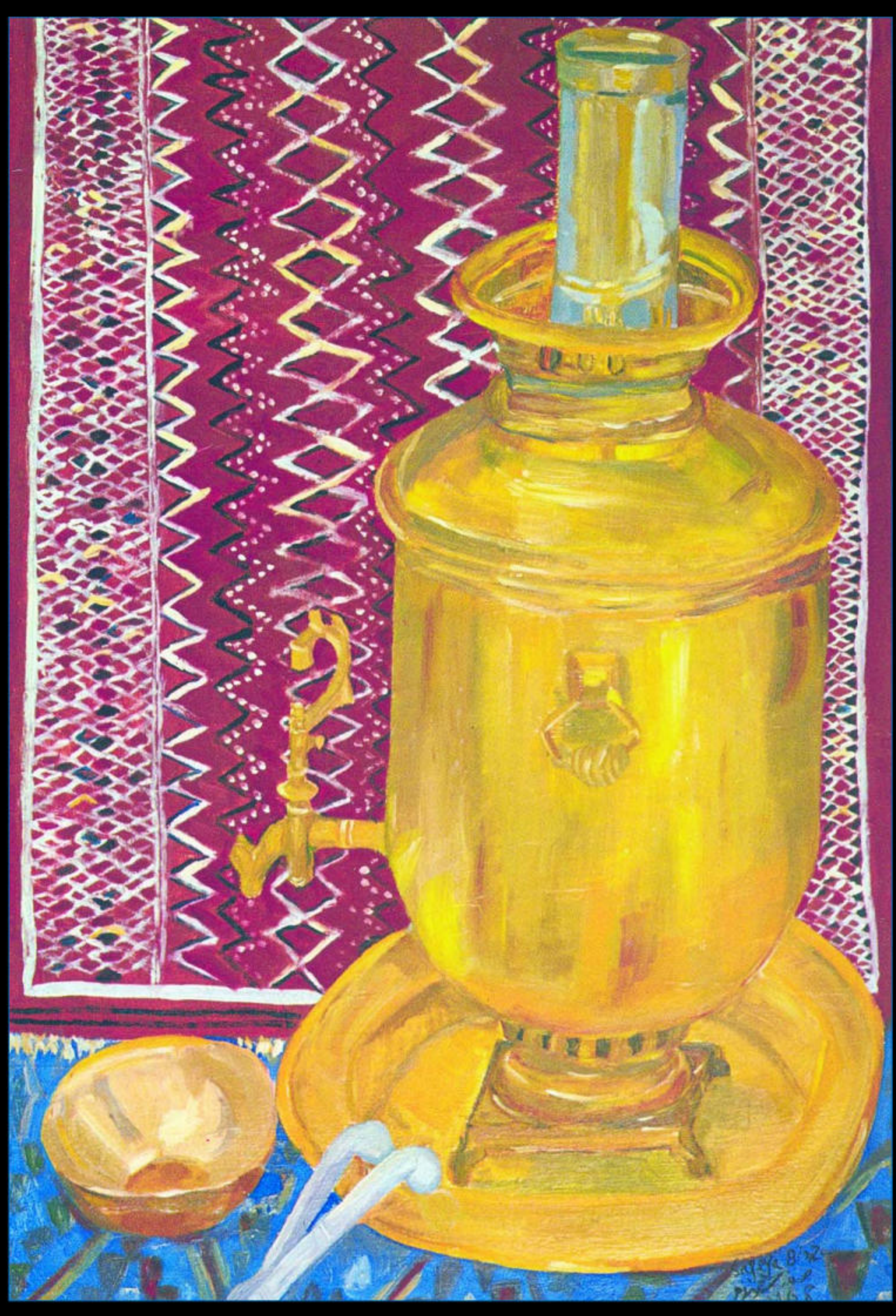
المساجد السبعةَ.. قيمةَ لها تاريخ



مسجد سلمان الفارسي

من المعالم التي يزورها القادمون إلى المدينةَ المساجد السبعةَ، وهي مجموعةَ مساجد صغيرةَ عددها الحقيقي ستةَ وليس سبعةَ، ولكنها اشتهرت بهذا الاسم، ويرى بعضهم أن مسجد القبلتين يضاف إليها؛ لأن من يزورها يزور ذلك المسجد أيضاً في نفس الرحلةَ فيصبح عددها سبعةَ.

وهناك روايات حديثيةَ لابن شبةَ تحدث فيها عن مسجد الفتح وعن عدةَ مساجد حوله. وقد روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في تلك المساجد كلها التي حول المسجد



لوحة للفنانة صفية بن زقر